رابطة العالم الإسلامي
الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

جمعية الإعجاز العلمي المتجدد

في آيات الآفاق والأنفس

أستاذ دكتور

يحيى وزيري

عضو الهيئة العالمية للاعجاز العلمى فى القرآن والسنة

١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م

فقه
آيات الآفاق والأنفس

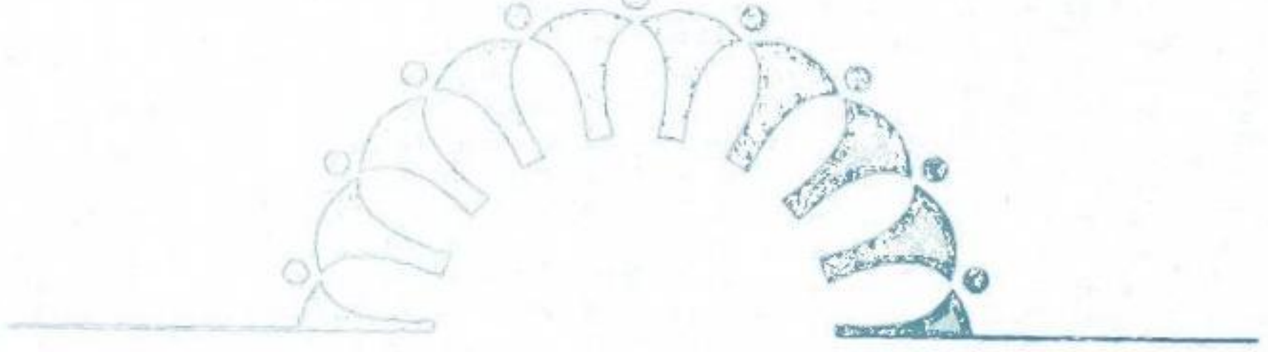

أستاذ دكتور

يحيى وزيري

عضو الهيئة العالمية للاعجاز العلمى فى القرآن والسنة

٢٠١٥م - ١٤٣٧هـ

اسم الكتاب : **فقه آيات الآفاق والأنفس**

اسم المؤلف : أستاذ دكتور/ **يحيى حسن وزيري**

جهة النشر : الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

الطبعة الأولى : ٢٠١٥م - ١٤٣٧ هجرية.

رقم الإيداع : ٢٠٤٠٢ / ٢٠١٥م

للتواصل مع المؤلف: E-mail: drwazeri@yahoo.com

محتويات الكتاب

الموضـــــوع	الصفحة
تقديـم	٥
تمهيـد	٦
الفصل الأول : * مدخل لفهم الإعجاز العلمي في القرآن الكريم	١١
الفصل الثاني : * جانب من خصائص آيات الآفاق والأنفس	٢٧
الفصل الثالث : * مستويات رؤية الإعجاز في آيات الآفاق والأنفس	٤٧
الفصل الرابع : * نموذج للقراءة التدبرية – تطبيقا على آيات الظل والظلال	٦٣
مراجع الكتاب	٨٥
* مختصر السيرة الذاتية للمؤلف	٩١

فقه
آيات الآفاق
والأنفس

تقديـــم

الحمد لله رب العالمين، والصــلاة والســلام على أشرف المرســلين ســيدنا محمد وعلى آله وصحبه ... وبعد:

فإن البحث والكتابة في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة غدت ضرورة ملحة، حيث أمرنا الله سبحانه وتعالى بمخاطبة الناس بلسانهم، وباللغة التي يفهمونها فى كل عصر من العصور.

ولا شــك أن التطور العلمــي الحديث قد ترك آثاراً على الفكــر البشري لا تنكر، وفرض نفســه على لغــة التخاطب اليومية في مختلف أنحاء المعمورة، وحيــث إن الإعجاز العلمي في القرآن والســنة وسـيلة من وســائل الدعوة القوية والمؤثرة في هذا العصر، وأســلوب أخاذ من أساليب التبليغ والبيان لدين الله عز وجل، لذا فقد أصبح أمراً مهماً جديراً بالدراسة والبحث.

غير أن الكتابة في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة يجب أن تكون رصينة تخضع لضــوابط معينة تقيها شرور الدخلاء والملبســين من ذوي الأهواء والجهالة المغالين في التفسير المادي لنصوص القرآن والسنة، أو المفتونين بمقولات غير المسلمين وتصوراتهم النظرية التي لا ترقى إلى المســلمات اليقينية، وتضيء الطريق أمام المخلصين حتى لا تُخضَع نصوص الكتاب والســنة للعلوم كي تفسر بها، ولا تجر العلوم إلى النصــوص لتحميلها ما لا تحتمله، ولكن إن اتفق النص مع حقيقة علمية ثابتة أظهرنا وجه الإعجاز وبيناه.

وبما أن كثيراً مما كتب عن الإعجاز العلمي في القرآن والســنة ينقصــه التأصــيل والالتزام بالقواعد والضوابط العلمية، فإن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة – وهي هيئة متخصصــة – تضع بين يدي الدارســين والباحثين هذا الكتاب الهام المعنون «**فقه آيات الآفاق والأنفس**» للأســتاذ الدكتــور/ **يحيى حسن وزيري**، لمن يريد أن يبحــث أو يكتب أو يحاضر في مجال الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والســنة النبوية المطهــرة، حتى تكون الجهود المبذولة في هذا الجانب الحيوي المهم جهوداً مباركة تقوم على أســس علمية ســليمة ومنهجية صحيحة، كما تقوم على تقوى الله في التعامل مع كتاب الله وآياته وســنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والله تعالى نسأل أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه وأن يجعلنا من الناصحين لدينه وكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. وبالله التوفيق ،،،

فضيلة الأستاذ الدكتور

عبدالله بن عبدالعزيز المصلح

الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

تمهيد

أولى القرآن الكريم العلم والعلماء أهمية كبرى، حيث أكدت العديد من الآيات القرآنية على مكانة العلماء في الإسلام، سوآء أكانوا متخصصين في علوم الشرع أم علوم الحياة، حيث يقول الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، وفيها دلالة على علو منزلة المؤمنين والذين أوتوا العلم، وأن الله قد رفعهم درجات، كما يقول سبحانه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: من الآية ٢٨]، فالعلماء هم أكثر الناس خشية من الله سبحانه وتعالى لمعرفتهم بقدره تعالى، مما عرفوه من العلم بقدرة الله، كما يقول تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، فالعلماء هم شهود الله في الأرض حيث شرفهم الله بأن قرن شهادتهم له بالوحدانية بشهادة الملائكة له أيضا بالوحدانية، كما ربط القرآن الكريم بين التقوى والعلم حيث جعل تقوى الله سببا وطريقا لزيادة العلم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٢].

ونظرا لأن عملية البحث في مجال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، تعتبر حديثة نسبيا مقارنة بدراسات الإعجاز القرآني من الناحية البيانية أو البلاغية وغيرها [١]، فان هذا الكتاب يعتبر محاولة لاستكشاف معالم

---

(١) لمعرفة وجوه إعجاز القرآن الكريم المختلفة انظر: عبد الله المصلح وعبد الجواد الصاوي (٢٠٠٨). الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.. منهج التدريس الجامعي. الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن ن والسنة، جدة، ص ٢٤- ٢٧.

طريق البحث في مجال آيات الآفاق والأنفس، أو مايعرف حديثا بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة من أجل تأصيل منهج الدراسة والبحث على ضوء ماورد بالقرآن الكريم.

إن هذه الدراسة تستند إلى ماورد في العديد من الآيات القرآنية لتوضيح هذه المعالم، إلى جانب الخبرة البحثية التي توفرت لمؤلف الكتاب في مجال دراسات وأبحاث الإعجاز العلمي، من أجل إرساء قواعد علم قرآني جديد يدخل تحت مظلة «علوم القرآن»، ونقصد به علم «الإعجاز العلمي».

لقد انقسم موقف وآراء المفسرين والمسلمين حول الإشارات العلمية في القرآن الكريم إلى فريقين[1] : الفريق الأول يرى أنه لايجب الخلط بين القرآن والعلم، لأن العلم متغير وما نقوله اليوم في العلم قد ننقضه غدا أو نغير فيه بعد غد، ولكن القرآن ثابت ولا يجب أن نربطه بشيئ متغير حتى لانسيئ إليه كلما تغيرت نظرية أو تعدل قانون طبيعي.

ويرى الفريق الثاني أن القرآن لايتعارض مع العلم، بل العكس فكل ماجاء في الإشارات العلمية القرآنية يتمشى تماما مع العلم، وأننا علينا الاجتهاد في تفسير هذه الإشارات العلمية وبيان الإعجاز فيها حيث أنها ذكرت حقائق علمية لم تكن معروفة وقت نزول القرآن الكريم، وجآء العلم الحديث وبينها.

مما سبق نجد أن الرد الحاسم جاء على لسان الفريق الثاني والذي يوضح أنه في مجال البحث في آيات الآفاق والأنفس، والتي تحتوى على إشارات علمية واضحة، لانستند في تدبرها أو فهمها على النظريات العلمية التي تقبل الصواب أو الخطأ، أو التعديل والتبديل والحذف والإضافة، ولكن التعامل يكون مع الحقائق العلمية الثابتة الراسخة، باعتبارها قوانين علمية تحكم خلق الكون أو خلق

---

(١) ممدوح عبد الغفور حسن (١٩٩٥). المنهج السليم في تناول الإشارات العلمية. مجلة الهلال، عدد فبراير، القاهرة، ص ٩٥- ٩٩.

الإنسان، وهو ماأشار إليه القرآن الكريم بكلمة «السنن»، مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فاطر: من الآية ٤٣]، فهي سنن وقوانين كونية لاتتبدل ولا تتحول.

وعلى ذلك فان كلام الفريق الأول يصدق على من يتعاملون مع النظريات العلمية المتغيرة، ويستخدمونها فيما يسمى بالتفسير العلمي للقرآن الكريم، وهو مرفوض عند غالبية علماء المسلمين، لاحتمال تبدل وتغير تلك النظريات العلمية.

لذلك فان تعريف الإعجاز العلمي هو إنباء القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، مما يظهر صدقه فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى، وهو من أبواب الإعجاز الغيبي(١).

لقد اهتم الكثير من علماء المسلمين القدامى والمحدثين بدراسة وتدبر آيات الآفاق والأنفس، وهى الآيات القرآنية التي تحتوى على إشارات كونية أو نفسية، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

فعلى سبيل المثال خصص الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»، أجزاء للحديث عن شرف التعليم والتعلم، موضحا أن العلم أحد الأدلة الدالة على الله بل من أعظمها وأظهرها، ثم خصص فصولا عن التأمل في خلق الإنسان والأرض والليل والنهار والشمس والكواكب، والأشجار والوحوش والحشرات وغيرها(٢)، وقد ألف أحد الباحثين المعاصرين

---

(١) عبد الله المصلح وعبد الجواد الصاوي: مرجع السابق، ص٢٨.

(٢) انظر: ابن قيم الجوزية (١٩٧٩). مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (الطبعة الثالثة). مكتبة حميدو، الإسكندرية، ص٢٠٥ وما بعدها.

كتابا باللغة الانجليزية عن ذلك أسماه «تأملات ابن القيم»[١]، أوضح فيه تأملات ابن القيم في كتابه «مفتاح دار السعادة» في موضوعات أربعة هي: الإنسان، الكون، الحيوانات وأخيرا الطبيعة.

كما نجد أن الإمام محمد بن أحمد الاسكندرانى الدمشقي، قد ألف كتابا يرجح أنه صدر في نهايات القرن التاسع عشر، بعنوان «كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية»[٢]، وفيه تأملات وتفسيرات للآيات القرآنية المتعلقة بكل الموضوعات التي أوردها في عنوان كتابه المذكور.

أما كتاب «الجواهر في تفسير القرآن الكريم»[٣]، فهو كتاب في تفسير القرآن الكريم جدير بالتأمل والتبحر، فقد نحا فيه المؤلف نحواً مغايراً عن غيره من المفسرين، إذ هو رأى بأن في الكون وعجائبه، والطبيعة وبدائعها، والمخلوقات وأسرارها، ما يقنع صاحب كل ذي لبّ بالتأمل والتفكر والتدبر بآيات القرآن الكريم التي جاءت مطابقة لعجائب الصنع، وحكم الخلق.

وقد منّ الله على الشيخ طنطاوي جوهري بالفتوح وكان له هذا التفسير لآيات القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات، حيث جعل علوم الكون وعجائب المخلوقات في خلاله.

أما فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوى، فقد كان يشير لآيات الآفاق والأنفس بوصفها الأدلة المادية على وجود الله سبحانه وتعالى[٤]، من حيث

---

(1) Anas Abdul- Hameed Al- Qez (1997). Man & Universe...Reflections of Ibn Al- Qayyem. Dar-us-Salam, U.S.A, (see also: www.hoor-al-ayn.com).

(٢) انظر: محمد بن أحمد الاسكندرانى الدمشقي (-). كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية (ثلاثة أجزاء). مكتبة ركابي، القاهرة.

(٣) طنطاوي جوهري (١٣٥١ هجرية). الجواهر في تفسير القرآن الكريم. مطبعة الحلبي وأولاده، مصر.

(٤) محمد متولي الشعراوى (١٩٩٥). الأدلة المادية على وجود الله. أخبار اليوم، القاهرة.

التفكر في خلق الإنسان، والآيات الموجودة في الأرض والسماء، كما خصص الشيخ محمد الغزالي فصلا مستقلا في كتابه «نظرات في القرآن»، عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم(١).

إن الشاهد مما سبق أن فكرة التدبر في الآيات القرآنية ذات الإشارات العلمية، هي فكرة ذات جذور أصيلة عند علماء المسلمين قديما وحديثا، تحت مسميات مختلفة، انتهت إلى مايعرف الآن في عصرنا الحديث بمصطلح الإعجاز العلمي، أو ماعرف في الاصطلاح القرآني بآيات الآفاق والأنفس مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت: ٥٣].

وسوف نحاول أن نوضح من خلال فصول الكتاب المختلفة، أن جذور وأسس هذا العلم القرآني موجودة في ذلك الكتاب القيم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من خلال استنباط تلك الأسس والمفاهيم من خلال العديد من الآيات القرآنية الكريمة، لتكون نبراسا وهاديا لمن أراد أن يتدبر أو يفهم العديد من الإشارات الاعجازية ذات الصبغة العلمية في آيات الآفاق والأنفس.

المؤلف
أ.د. يحيى وزيرى
القاهرة – ٢٠١٥م

---

(١) محمد الغزالي (٢٠٠٥). نظرات في القرآن. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص١١١ وما بعدها.

الفصل الأول

مدخل لفهم الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم

أولا: الدلالات العلمية لأسماء بعض سور القرآن الكريم

اختلف علماء المسلمين حول أسماء سور القرآن الكريم، فالبعض منهم يرى أنها توقيفية من عند الله سبحانه وتعالى، كما أورد الامام السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" بأنه قد ثبت أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار(١)، والبعض الآخر يرىَ أنها توفيقية بمعنى أنها من اختيار الصحابة والتابعين، أى اختيار بشرى ويستدلون على رأيهم هذا بأن بعض السور لها أكثر من اسم(٢)، فسورة النحل تسمى أيضا بسورة النعم، وسورة الاسراء تسمى أيضا بسورة بنى اسرائيل.

ودون الدخول فى عملية ترجيح أحد الرأيين على الآخر فهذا خارج عن نطاق بحثنا هذا، فان الشيئ المتفق عليه بين المسلمين أن أسماء السور الواردة فى المصحف العثمانى قد جاءت بناء على اجماع الصحابة الكرام، وبناء على اختيارهم وهو ما أجمعت عليه الأمة الاسلامية.

ومايهمنا في هذا الصدد أنه بالرغم من أن القرآن الكريم هو كتاب هداية للمتقين، مصداقا لقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١، ٢]، فإننا ربما نندهش لو تأملنا أسماء بعض سور القرآن الكريم، حيث أن القراءة الأولية لأسماء العديد من سور القرآن الكريم تشير إلى العديد من المعارف والعلوم الطبيعية الكونية وكذلك العلوم الإنسانية والاجتماعية.

لقد لفت نظري ماورد في إحدى الدراسات السابقة بعنوان "القرآن والتاريخ"، والتي طرحت رؤية تتسم بالشمولية لتصنيف أسماء سور القرآن

---

(١) الحافظ جلال الدين السيوطي (١٩٩٦). الإتقان في علوم القرآن. دار مصر للطباعة، القاهرة، ص٧٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٧٢ وما بعدها.

الكريم وماتشير اليه من علوم مختلفة، وهو مايمكن إيجازه في المحاور التالية[١]:

- عالم الغيب وارتباطه بعالم الشهادة.
- الكون والأرض.
- الحياة النباتية والحيوانية.
- الحياة الانسانية.
- العقيدة والعبادات والمعاملات.
- الجهاد والشئون الدولية.
- الآخرة والجزاء.

وخلصت تلك الدراسة الى أن أسماء سور القرآن الكريم فيها شمول يتلاءم مع نظرة القرآن الكلية لأمر الوجود، والانسان والكون ومناشط الحياة الانسانية التى يتحدث فيها القرآن الكريم عما دق من الخلق كالنمل وعما عظم كالسماء ذات البروج ومواقع النجوم.

وبناء على دراسة ورؤية تحليلية قمت بها على أسماء سور القرآن الكريم، فقد خلصت من القراءة الأولية لأسماء العديد من السور، الى ارتباط بعض منها واشارتها الى مايعرف اليوم بالعلوم الكونية الطبيعية، وأن بعضا منها يرتبط ويشير الى مايعرف اليوم بالعلوم الانسانية والاجتماعية، شكل (١)، وهو ما يمكن أن يتضح ممايلى[٢]:

أ- أسماء السور المرتبطة بالعلوم الكونية:

- وجود مجموعة من أسماء السور تشير إلى عالم الحيوان مثل: البقرة، الأنعام، العاديات ،الخيول، الفيل.

---

(١) عبد العزيز كامل (١٩٨٢). القرآن والتاريخ. مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني عشر، عدد (٤)، وزارة الإعلام، الكويت، ص١١- ٦٠.

(٢) يحيى وزيري (٢٠١١). الدلالات العلمية لأسماء سور القرآن الكريم. مجلة الكشاف المسلم، عدد (١٠٢)، القاهرة، ص ٣٦، ٣٧.

ثم تأتى العديد من الآيات القرآنية لتثير اهتمام المسلمين بعالم الحيوان، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ [الغاشية:١٧].

- مجموعة أخرى من أسماء السور تشير إلى عالم الحشرات والمفصليات مثل سور: النحل والنمل والعنكبوت.

ثم تأتى العديد من الآيات القرآنية لتثير اهتمام المسلمين بعالم الحشرات، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [النحل: ٦٨].

- مجموعة من أسماء السور تشير إلى مواقع المدن وبعض المفردات المعمارية، مثل سور: الحجر وسبأ والأحقاف والبلد والكهف والحجرات والمائدة (الأثاث الداخلي) والحديد والنور.

ثم تأتى العديد من الآيات القرآنية لتثير تفكير المسلمين في شتى جوانب العمران والبنيان، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

أسماء السور ذات الدلالات العلمية (العدد ثلاثة وخمسون)

الأسماء ذات الصلة بالعلوم الكونية (العدد ٣٥ اسم سورة)	الأسماء ذات الصلة بالعلوم الإنسانية (العدد ١٨ اسم سورة)
١) البقرة والأنعام والعاديات والفيل (عالم الحيوان). ٢) النمل والنحل والعنكبوت (عالم الحشرات). ٣) الحجر وسبأ والأحقاف والبلد والكهف والحجرات والمائدة والحديد والنور والزخرف (العمارة والعمران). ٤) المعارج والبروج والطارق والشمس والنجم والقمر (علم الفلك). ٥) الفجر والليل والضحى والعصر والفلق والجمعة (المواقيت والزمن). ٦) الطور (الجبل) الحديد (معالم الأرض ومعادنها). ٧) التين (الزروع والثمار). ٨) الرعد والذاريات (الأرصاد الجوية). ٩) العلق (أصل خلق الانسان)	١) الإنسان والنساء والناس . ٢) قريش والروم (الأعراق والأجناس البشرية). ٣) آل عمران ويونس وهود ويوسف وإبراهيم ومريم والأنبياء ولقمان ومحمد ونوح والقصص (السير والتاريخ). ٤) الشعراء (الأدب). ٥) القلم (أداة التعلم الأساسية).

شكل (١): أسماء السور ذات الدلالات العلمية.

- مجموعة أخرى من أسماء السور تشير إلى عالم النجوم والكواكب والأبراج، مثل سور: المعارج والبروج والطارق (نجم الطارق) والشمس والنجم والقمر.

ثم تأتى العديد من الآيات القرآنية لتثير اهتمام المسلمين بهذه الكواكب والنجوم، كقولـه تعالـى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ (البقـرة: من الآية ١٨٩)، ونلحظ فيها أيضـا ربط بعض العبادات كالحج ببعض الظواهر الفلكية كمولد الأهلة.

- مجموعة أخرى من أسماء السور تشير إلى المواقيت والزمن، مثل سور: الفجر والليل والضحى والعصر والفلق والجمعة.

ثم تأتى العديد من الآيات القرآنية التي فيها قسـم بتلك الأزمنة والمواقيت، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر: ١، ٢]، أو قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ [الليل: ١، ٢].

- سـورتان تشـيران إلى معالم الأرض ومعادنها، وهما سورتي: الطور (الجبل) والحديـد، ثم تثير بعض الآيات الكريمة انتباه المسـلمين إلى أهمية المعادن كما في قولـه تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: من الآية ٢٥].

- اسم سورة واحدة تشير إلى أصل خلق الإنسان، وهى سورة العلق.

- اسم سورة واحدة تشير إلى الزروع والثمار، وهى سورة التين.

- اسـمي سـورتين تشـيران إلى الظواهر الجوية والمناخية،وهما سورتى الرعد والذاريات.

ب- أسماء السور المرتبطة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية:

- ثلاثة سور باسم «الإنسان» و«والنساء» و«الناس»، فى اشارة جلية الى الكائن المكرم واهتمام القرآن الكريم بالإشارة إليه.
- سورتان تشيران إلى الأعراق والأجناس البشرية، وهما سورتي قريش (رمز للجنس العربي) والروم (رمز للأعاجم غير العرب).
- مجموعة سور تشير إلى أسماء الأنبياء والصالحين وقصصهم مع أقوامهم، وهو ما يمكن أن يدخل تحت مسمى علم السير والتراجم الشخصية، مثل سور: آل عمران ويونس وهود ويوسف وإبراهيم ومريم والأنبياء ولقمان ومحمد ونوح والقصص.
- سورة واحدة باسم "الشعراء".
- سورة واحدة باسم "القلم" أداة التعلم الأساسية.

مما سبق يتضح لنا جليا وجود العديد من الدلالات العلمية لبعض أسماء سور القرآن الكريم (تبلغ خمسين سورة)، سواء أكان ذلك في مجال العلوم الكونية أوالعلوم الإنسانية والاجتماعية، وكأن كل مجموعة من تلك أسماء تشير إلى علم بذاته، والى وجود العديد من الآيات القرآنية التي تشير إلى هذا العلم، أو مايتصل به من خلق الله تعالى في هذا الكون الرحيب.

إن التأمل والنظر في الدلالات العلمية لبعض أسماء السور، يكشف لنا عن منهج القرآن الكريم والعديد من آياته، والتي تحض المسلمين على التفكر في ملكوت السماوات والأرض.

ثانيا: الجمع بين القراءتين والتفكر في الخلقين:

إن أول ما نزل من القرآن الكريم على المصطفى عليه الصلاة والسلام، هو قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥].

إن كلمة "اقرأ" هي أول كلمة نزلت من القرآن الكريم، لأنها هي مفتاح العلم والمعرفة، ويرى طه جابر العلوانى[1] أن الله قد أمر نبيه عليه الصلاة والسلام في مفتتح نزول القرآن بأن يجمع بين قراءتين: قراءة الوحي (القرآن) وقراءة الوجود (الكون)، حيث أن كلمة "اقرأ" وردت مرتين في تلك الآيات الأولى التي أنزلت على المصطفى عليه الصلاة والسلام، ونحن مأمورون بأن نجمع بين القراءتين.

كما لفت نظرى أن كلمة "خلق" قد وردت مرتين أيضا في تلك الآيات الأولى التي أنزلت على المصطفى علية الصلاة والسلام، والأولى منهما أعم وأشمل حيث تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى هو خالق كل شيئ في هذا الكون، أما الثانية فهي خاصة بخلق الإنسان ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾، ونحن مأمورون أيضا بأن نتفكر في الخلقين.. خلق الأكوان وخلق الإنسان، وهو ما أشار الله سبحانه وتعالى تفصيلا في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣].

وكأن القرآن الكريم يكشف عن منهجه القويم في هداية البشر لرب البشر، مع الآيات الأولى التي أنزلت على المصطفى عليه الصلاة والسلام، عن طريق التفكر في خلق الإنسان وخلق الأكوان، مما يزيد المسلم توقيرا للخالق العظيم وزيادة

---

(١) طه جابر العلوانى (٢٠٠٥). الجمع بين القراءتين (الوحي والكون). دار الشروق، القاهرة، ص٥ وما بعدها.

الإيمان واليقين.

فالتفكر في خلق الإنسان تزيد المسلم توقيرا وتعظيما للخالق العظيم، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح:١٣، ١٤]، وكأنه توجد صلة مباشرة مابين التفكر في خلق الإنسان على مراحل (أطوار) ومابين زيادة توقير وتعظيم المولى جل في علاه.

أما التفكر في خلق الأكوان فتسهم في زيادة يقين الإنسان، ويستدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، وكأن الآية الكريمة تلفت الأنظار إلى العلاقة المباشرة بين التفكر في ملكوت السماوات وزيادة اليقين.

من هنا تتجلى أهمية الجمع بين القراءتين (القرآن والكون) أو التفكر في الخلقين (خلق الأكوان وخلق الإنسان)، وبهذا المنهج القرآني القويم يمكن رؤية وفهم الآيات المسطورة والآيات المنظورة على حد سوآء.

وتجدر الإشارة هنا أيضا إلى أن قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾، تعتبر أول إشارة اعجازية نزلت في القرآن الكريم، حيث الإشارة إلى إحدى مراحل خلق الذرية في بطون الأمهات وهى مرحلة "العلقة"، وهو ماأصبح حقيقة علمية طبقا لما هو متعارف عليه اليوم في علم الأجنة[1].

أما ذكر القلم في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾، ففيه إشارة إلى أداة ووسيلة التعلم الأساسية، وهو رمز لكل الوسائل التعليمية القديمة والمستحدثة، وفيه حث على تدوين المعارف والعلوم المختلفة، ودراسة كل العلوم النافعة المدونة.

---

(١) لمعرفة مراحل خلق الأجنة في بطون الأمهات انظر على سبيل المثال: علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة (١٩٨٧). من أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، باكستان، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة.

ثالثا: موضوعات التدبر وصفات المتدبرين في آيات الآفاق والأنفس:

من المعروف أن لكل علم مجال وموضوعات معينة يهتم بها ويبحث فيها، فما هي موضوعات ومجالات أبحاث الإعجاز العلمي؟، وهل يوجد في آيات القرآن الكريم ما يمكن أن نستنبط منه ذلك؟.

إن البحث والتدبر في بعض الآيات القرآنية قد أعاننا على تحديد موضوعات ومجالات أبحاث الإعجاز العلمي، وهو ما يوضح أحد جوانب عظمة القرآن الكريم الذي ينير دائما الطريق لمن أراد أن يهتدي للحق الواضح المبين، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:٥٣].

فالآية الكريمة تشير إلى نوعين من الآيات، منتشرة في الآفاق والأنفس، فآيات الآفاق يمكن تقسيمها إلى آيات سماوية وآيات أرضية، مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الجاثية: ٣،٤]، ففي الآية الأولى ذكر الآيات الموجودة في السماوات والأرض (آيات الآفاق)، ثم تلتها في الآية الثانية ذكر الآيات الموجودة في خلق الإنسان، ويتضح ذلك أيضا من قوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢٢]، حيث توضح الآيتان الكريمتان وجود آيات في الأرض وفى الأنفس، كما يتضح من قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥]، الآيات الموجودة في السماوات والأرض (آيات الآفاق).

مما سبق يمكن أن نستنبط بدقة متناهية موضوعات دراسة آيات الآفاق والأنفس أو مايعرف اليوم كمصطلح معاصر مجال أبحاث الإعجاز العلمي، وهى كمايلى:

١- الآفاق: ويقصد بها تحديدا الآيات الموجودة في الأرض والآيات الموجودة فى السماوات، أي الكون الكبير، فالآيات السماوية تتكلم على سبيل المثال عن الشمس وعن القمر والكواكب وغيرها، أما الآيات الأرضية فتتكلم عن النبات وإخراجه وعن الجبال وغيرها[١].

٢- الأنفس: ويقصد بها الإنسان، أى الكون الصغير، سواء أكان ذلك يتعلق بالجسم البشرى أم كل ما يتعلق بالإنسان من الناحية الإنسانية والاجتماعية، فالآيات النفسية أو الإنسانية خاصة بالإنسان[٢].

وبصفة عامة فان الباحث العلمي يجب أن تتوفر فيه بعض الصفات، كالأمانة العلمية والمثابرة على البحث، وعدم استباق النتائج، واتباع منهج علمي واضح.. وغيرها.

ونظرا إلى خصوصية وعلو منزلة البحث في مجال آيات الآفاق والأنفس لارتباطه بالقرآن الكريم (والسنة النبوية المطهرة)، فلقد أوضح القرآن الكريم في بعض من آياته سمتين أساسيتين يجب توافرهما في الباحث والمتدبر في تلك الآيات، يمكن أن نستنبطهما من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

---

(١) سامي عبد الفتاح هلال (٢٠٠٧). من فيض الخاطر في تفسير سورة فاطر. دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر، ص٢٦٥، بتصرف.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٦٦.

فيلاحظ أن الآيتين الكريمتين قد بدأتا بمجال أو موضوعات البحث والتفكر، وهى هنا "خلق السماوات والأرض" أو "الآفاق"، ثم وصفت المهتمين والمتفكرين بتدبر هذه الآيات الكونية بأنهم "أولو الألباب"، وأخيراً حددت صفتين أساسيتين يتميز بهما "أولو الألباب"، يجب أن يتوافرا أيضا في الباحث في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وهما: الذكر ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾، والتفكر والفكر ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

أما بالنسبة للذكر فهو لايقتصر على الأقوال فقط بل يدخل فيه أيضاً تلاوة القرآن لأنه أفضل الذكر، كما يدخل فيه الأفعال أي ذكر الله باللسان وبكل الجوارح الأخرى، وهذا بلا شك يحتاج إلى علم شرعي أو على الأقل خلفية شرعية صحيحة، لأنه لا فائدة من العمل بلا نية أوعلم.

وأما بالنسبة للفكر والتفكر في الآيات الكونية فيحتاج إلى خلفية علمية متخصصة، حتى يمكن فهم ماٰيرى على الوجه السليم والصحيح، واكتشاف ما فيه من جوانب عظمة الخلق والخالق.

لقد تحدث آيات قرآنية أخرى عن صفات أولى الألباب مؤكدة على المعاني السابقة، حيث يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [ص:٢٩]، فنجد هنا ذكر "أولو الألباب" في سياق الحديث عن تدبر القرآن الكريم، فمن أهم صفات أولى الألباب أنهم يتدبرون كتاب الله وهو يدخل تحت معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾، وتلك هي السمة الأولى المميزة لهم، أما السمة الثانية وهى التفكر في خلق السماوات والأرض فيدل عليها قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٢١].

وهذا يعنـى أن الباحث تحديدا في مجـال الإعجاز العلمي يمكن تشـبيهه بالطائر، الذي لـه جناحان، الجناح الأول هـو الذكر (خلفية بالعلـوم الشرعية)، والجناح الثاني التفكر والفكر(خلفية بالعلوم الكونية كل بحسب تخصصه).

رابعا: رؤية الآيات بين المنح والمنع:

مـن جوانب عظمة القرآن الكريم أيضـا أنه قد حدد بدقـة المراحل التي يجب أن يسـلكها الباحث أو المتدبر في آيات الآفاق والأنفس، حتى يصـل إلى اكتشـاف ومعرفـة الإشـارة العلمية، أو وجه الإعجـاز في آيات القرآن الكـريم أو أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ونسـتطيع أن نقـول أن مراحل الطريق موضـحة في آخر ثلاث آيات من سـورة النمل، ونفصلها فيما يلي:

١- ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٩١]، الأمر بالعبادة وإسلام الوجه لله.

٢- ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [النمل: ٩٢]، الأمر بتلاوة القرآن (الآيات المسطورة).

٣- ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٣]، ثم أخيرا تأتى المنحة الإلهية برؤية ومعرفة الآيات المنظورة في الآفاق والأنفس.

إذن فالآيات الكريمة السابقة تحدد لنا بدقة متناهية ثلاث مراحل، يقطعها الباحث من أجل اكتشـاف الإشارة الاعجازية في القرآن الكريم (أو السنة النبوية)، وهذه المراحل هي، انظر شكل (٢):

أ – العبادة وإسلام الوجه لله.
ب – بتلاوة القرآن الكريم بتدبر وفهم.
جـ – النتيجة والمنحة الإلهية برؤية ومعرفة آيات الآفاق والأنفس.

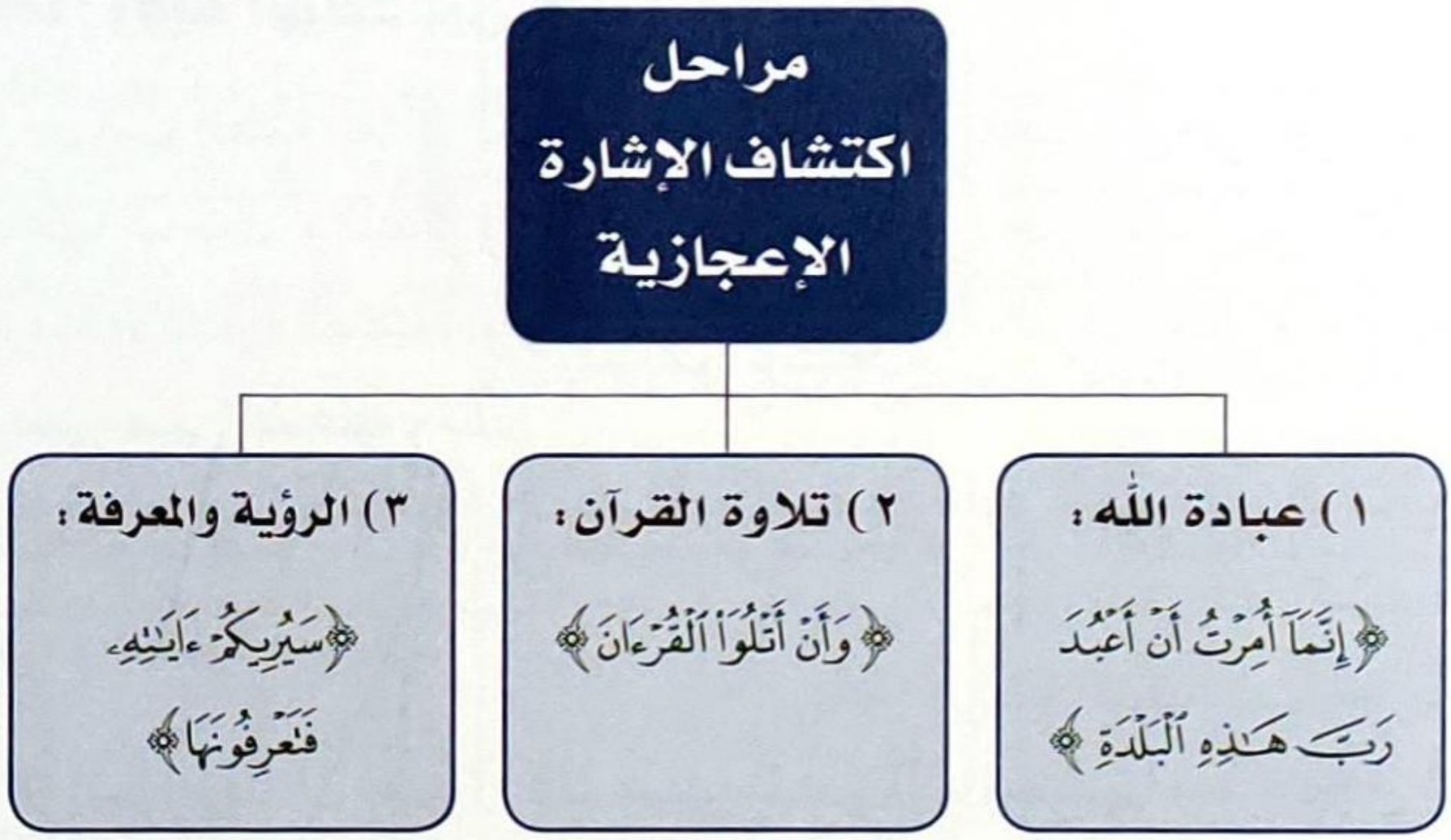

شكل (٢): مراحل رؤية واستكشاف آيات الآفاق والأنفس.

ومن عظمة القرآن الكريم أيضا أنه قد أوضح لمن أراد أن يرى ويعرف آيات الله في الآفاق والأنفس، أنه توجد ذنوب ومعتقدات تحول بين الإنسـان وبين رؤية تلك الآيات وبالتالي معرفتها واكتشـافها، وهو ما يتضح من قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ

﴿ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

قال سفيان بن عيينة في قوله: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾، قال : أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتي[1]، وهذا يعنى أن "الصرف" هنا يقصد به: عدم فهم القرآن (الآيات المسطورة)، وكذلك عدم التفكر في خلق السموات والأرض (الآيات المنظورة).

إن الآية الكريمة توضح أن "التكبر في الأرض بغير الحق" هو المانع الأساسي من رؤية الآيات، كما أن "التكذيب بالآيات" يؤدى إلى نفس النتيجة، وبالطبع فان "الغفلة عن الآيات" لاتجعل الإنسان ينتفع برؤيتها وبالاعتبار بها.

وهذا يعنى أن القرآن الكريم كما وضح مراحل طريق الوصول لرؤية الآيات ومعرفتها، فقد حذر أيضا من بعض الأفعال والسلوكيات (التكبر– التكذيب– الغفلة) التي تؤدى إلى حجب الرؤية وبالتالي المعرفة.

(١) انظر تفسير الآية ١٤٦ من سورة الأعراف في تفسير الإمام ابن كثير.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

جانب من خصائص آيات الآفاق والأنفس

يحتوى القرآن الكريم على «٦٢٣٦» آية، منها ما اصطلح العلماء على تسميته باسم « آيات الأحكام »، ولها تعريفين مشهورين أحدهما أعم من الآخر[١]، فأولهما: أنَّ آيات الأحكام: هي كلُّ آية يُستفاد منها حكمٌ فقهيٌّ، وتدلُّ عليه نصاً أو استنباطاً، سواء سيقَت لبَيان الأحكام الفقهية، أو لغير ذلك كآيات العقيدة، والقصص، والترغيب، والترهيب، وهذا المعنى هو الأعم.

والثاني: أنَّها الآيات التي تُبيِّنُ الأحكامَ الفقهية على وَجْهِ التَّصْريح، دون ما يُؤخَذُ منه الحكْمُ الفقهي بطريق الاستنباط والتأمُّل، أو : هي الآيات التي سِيقَت لبيان الأحكام الفقهية، دون ما يُستنبطُ منه الحكم الفقهي و لم يُسَقْ لذلك.

وقد اجتهد العلماء – رحمهم الله – في عدِّ آيات الأحكام، واختلفوا في قَدْرِها اختلافاً مشهوراً، فقيل: هي خمسمائة آية، قال الغزالي رحمه الله في معرض بيانه لشروط الاجتهاد: « لايشترط معرفة جميع الكتاب، بل ما تتعلق به الأحكام منه، وهو مقدار خمسمائة آية «، ووافقَهُ – في هذا الحصْرِ– جماعةٌ، منهم: ابن رشد الحفيد، والرازي، وابن قدامة – رحمهم الله–[٢].

أما بالنسبة لآيات الآفاق والأنفس والتي تحتوى على إشارات وسبق علمي، فقد تمت محاولات عدة لحصرها وتصنيفها، سواء على مستوى كل سورة من سور القرآن الكريم[٣]، أم على مستوى العلم الكوني التي تشير إليه كل مجموعة من الآيات، كالآيات ذات الإشارات الطبية أو علوم الأرض والبحار والعمارة والعمران وغيرها[٤].

---

(١) ، (٢) موقع "الملتقى المغربى لعلوم القرآن"، انظر: www. maroc-quran.com/vb/

(٣) انظر على سبيل المثال: صبحي عبد الرءوف عصر (١٩٩٠). المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم. دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ص ٢٣٠- ٢٤٤.

(٤) انظر على سبيل المثال: يحيى وزيري (٢٠٠٤). إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران. مكتبة عالم الكتب، القاهرة.
وانظر أيضا: يوسف مروة (١٩٨٦). العلوم الطبيعية فى القرآن. منشورات مروة العلمية، بيروت، ص٧٦، ٧٧.

وقـد قام علماء وخبراء الهيئـة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسـنة، بعمل حصر وتصنيف لآيات الآفاق والأنفس، والتي يمكن أن تحتوى على سبق وإعجاز علمي، فحصروا حتى الآن مايقرب من ١٣٠٠ آية قرآنية[١].

وبالرغم من تنوع آيات الآفاق والأنفس الواردة في القرآن الكريم وعددها الكبير مقارنة بآيات الأحكام، فانه لم يتم دراسة الخصائص المميزة لها في دراسات سابقة على حد علمي، لذلك فقد قمت بتلك المحاولة المبدئية، لاسـتنباط أي خصائص معينـة يمكن أن تميزها عن غيرها من الآيات القرآنية الأخرى سـواء على مسـتوى المبنى (الألفاظ) أم المعنى (المضـمون)، شكل (٣)، وسيتم تفصيل تلك الخصائص فيمايلى:

شكل (٣): خصائص آيات الآفاق والأنفس على مستوى الألفاظ والمضمون.

أولا: على مستوى ألفاظ الآيات:

تتصـف الآيـات التى تشـتمل على اشـارات وحقائـق علمية وكونيـة على عدة

(١) ذكر ذلك فضيلة الدكتور عبد الله المصلح أمين عام الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، في العديد من محاضراته.

خصائص من ناحية الشكل والألفاظ، تساعد على لفت أنظار المتدبرين والباحثين اليها، وقد فصلناها فيما يلى:

١- الأمر بالنظر والتبصر والتفكر:

دعا القرآن الكريم إلى النظر في مائة وتسع وعشرين آية جاءت على معان مختلفة، منها النظر بمعنى نظر العين أي الرؤية، وبمعنى الانتظار، والذي يهمنا هو النظر الذي يقوم على الفحص والتأمل والتبصر بحقائق الوجود والخلق، وقد ورد هذا المعنى في آيات كثيرة[١]، حيث تجد العديد من آيات الآفاق والأنفس تحتوى على أمر مباشر بالنظر والتبصر والتفكر في السماوات والأرض وخلق الانسان وغيره من الكائنات، ومثال ذلك مايلى:

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١].

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٦– ٨].

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ [الطارق: ٥].

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ [عبس: ٢٤].

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧].

---

(١) جمال محمد محمد الهنيدى (٢٠٠٠). تربية علماء الطبيعيات والكونيات المسلمين. دار الوفاء، المنصورة، مصر، ص٨٣.

٢- احتوائها على لفظ (آية) أو (آيات):

تأتى كلمة «الآية» في القرآن الكريم بعدة معاني منها: العلامة والأمارة والمعجزة وغيرها[١]، والمقصود (بالآية) في آيات الآفاق والأنفس العلامة والدليل والبرهان، لتنبيه الإنسان على التفكر واستخدام العقل لفهم تلك الآيات والسنن الكونية، ومثال ذلك مايلى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الروم: ٢٠ : ٢٦].

﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١]

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾

(١) انظر على سبيل المثال: المعجم الوسيط ، انظر الموقع الأليكترونى التالى: www.almaany.com

فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

[فصلت: ٣٧ ومابعدها].

٢- احتوائها على ألفاظ «الرؤية»:

نقصد بألفاظ «الرؤية»، أى الألفاظ التالية: (أو لم يروا) و(أو لم ير) و(ألم تر) و(أفلايرون) و(ترى)، وغيرها من الألفاظ التى تحث على الرؤية أو تنبه الى أهميتها، سوآء أكان المقصود بها الرؤية البصرية أم رؤية العلم والمعرفة، ومثال ذلك مايلى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس: ٧١: ٧٣]

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٧٩].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ [النور: ٤٣].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨]

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الفرقان: ٤٥ ومابعدها]

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧١، ٧٢]

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٤]

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ

فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف: ١٧]
﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣].

والرؤيــة إمــا أن تكون بصرية، وإما تكون عرفانية وإمــا أن تكون قلبية، أما المقصــود بالرؤية في آيات الآفاق والأنفس فهى الرؤية العلمية، فهذا من أســاليب القرآن الكريم ليشد الانتباه، ولما كانت القضية محل بيان ومحل وثوق عاملها معاملة الرؤية، لكي يحكم كل إنســان على هذه القضــية هل هي صحيحة أم لا؟، وليس هناك أقوى من أدلة الرؤية[١].

والآيات التي جاء فيها الاســتفهام بالهمزة فقط (ألم)، ســياقها يقتضــى النظر والاعتبار والاســتدلال، والآيات التي كان الاستفهام فيها بالهمزة والواو (أو لم)، ســياقها يقتضــى الاعتبار بالمشــاهد الحاضر فقــط، ومثلها الآيات التــي جاء فيها الاستفهام مقرونا بالفاء، إلا أن الفاء أوثق اتصالا بما قبلها[٢].

٤- احتوائها على قسم:

افتتح القرآن الكريم كثيرا من الســور القرآنية بالقســم، فالعديد من آيات الأفاق والأنفــس تحتوى على قســم، والله لايقســم الا بماهو عظيم، مما يــدل على عظم الآيات الكونية أو النفسية المقسم بها، ومثال ذلك مايلى:

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾
[الشمس : ١ومابعدها].

---

(١) سامي عبد الفتاح هلال: مرجع سابق، بتصرف، ص٧٦.
(٢) محمد محمد داود (٢٠٠٨). معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص٦٠٣، ٦٠٤.

﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ١، ١].

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ [الواقعة: ٧٥، ٧٦].

لقد أقسم الله بمخلوقاته، مع نهيه عن أن يقسم بها أحد من البشر، للإشارة إلى أن هذه المخلوقات ما هي إلا آيات يستنير بها أولوا الألباب في مناهج الاستدلال على وجود الصانع الحكيم.

والمقسم به فى آيات الآفاق والأنفس قد يكون شيئاً علوياً بعيداً عنا يثير الرهبة والعظمة والجلال، ويدعونا ذكره والقسم به إلى أن يثير لدينا الفضول العلمي وحب الاستطلاع، فأخذ في توجيه أنظارنا إليه بالبحث والدرس والتحليل، ومحاولة تسخيره لمنافعنا، وذلك كالسماء وما فيها من شمس، وقمر، ونجوم، ومظاهر كونية كثيرة، فالقسم بهذه الكائنات العلوية، يدفع الناس إلى البحث والتنقيب، ونصوص القرآن الدالة على النظر والبحث كثيرة.

وقد يكون المقسم به شيئا أرضيا مما يحيط بالإنسان ويتعايش به ومعه، ويقسم الله تعالى به لما فيه من منافع وفوائد، كالتين، والزيتون، والبحر المسجور، والأرض وما طحاها.

وأخيرا فقد يكون المقسم به شيئا ذاتيا للإنسان، وذلك كالنفس البشرية التي أقسم الله تعالى بها في قوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]، ولا شك أن القسم بهذه الأشياء يفتح للباحثين مجالا كبيرا في المباحث الفكرية، والنفسية، والاجتماعية[1].

---

(١) سامي عطا حسن، أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم ..بلاغته وأغراضه، انظر الموقع الأليكترونى التالي:
www.saaid.net/book

٥- فيها إظهار للنعم وتسخير الكون للإنسان:

إن تسخير الله الأشـياء للإنسان ليس فقط ليستعملها ويستغلها وينتفع بها، ولكن هنـاك خطوة أخرى تسـبق - سـبقا منطقيـا- الانتفاع وهى المعرفـة والفهم، إذ لايستطيع الإنسان أن ينتفع بشيئ دون أن يعرفه أو يفهمه.

ومن خصـائص بعض آيـات الآفاق والأنفسـ أن فيها تذكير للإنسـان بنعم الله التي تعد ولا تحصـى، والتنبيه على تسـخير الكون بما في السـماء والأرض من مخلوقات وكائنات، للإنسان الذي كرمه الله سبحانه وتعالى، من أجل أن يشكر تلك النعم ويتفكر فيها أيضا، ومثال ذلك مايلى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية: ١٢، ١٣].

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

فالتسخير من أجل الاستغلال والانتفاع يستلزم النظر والرصد والدراسة ليستطيع الإنسـان، أن يفهم الظواهر والأشياء، ليتمكن من معرفة مظاهرها وخواصها وما بينهـا من علاقات، ليسـتخرج في النهاية مايحكمها من قوانـين، ألا يقوم العلم أساسـا على المشـاهدة والفهم والتحكم والتنبؤ؟، أليس في التحكم والتنبؤ معنى السيطرة والاستغلال؟، وهذا نفسه - في التحليل الأخير- مايعنيه التسخير[1].

---

(١) محمد أحمد صادق كيلانى (١٩٩٠). الطبيعة الإنسـانية في القرآن الكريم (٢)، الضعف الانسـانى وتضميناته التربوية، مجلة العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة المنوفية، العدد الأول، السنة السادسة، ص٨٠.

٦- احتوائها على «مثل»:

يستخدم القرآن الكريم «الأمثال» لتقريب وفهم الشيئ المعقول بدلالة الشيئ المحسوس، والهدف من ضرب الأمثال هو اعمال الفكر والعقل لفهمها وتدبرها، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: من الآية ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقد جاءت العديد من آيات الآفاق والأنفس فى صورة مثل مضروب للتفكر والتعقل، ومن نماذج ذلك مايلى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى

﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

ثانيا: على مستوى معنى (محتوى) الآيات:

تتميز السور أو الآيات القرآنية التى تشير الى ظواهر وحقائق كونية ونفسية، ببعض الخصائص الهامة بغرض تثبيت الايمان والارتقاء بيقين القارئ والمتدبر والدارس لتلك السور أو الآيات، ومن تلك الخصائص مايلى:

١- الجمع بين آيات الآفاق والأنفس فى سياق واحد:

ففى أغلب السور والآيات القرآنية نجد اقتران اشارات وحقائق الآفاق مع حقائق الأنفس وخلق الانسان، فتارة يبدأ السياق القرآنى بحقيقة كونية ثم يتلوها مباشرة بآية أو بعد عدة آيات إشارة إلى حقائق خلق الانسان ومراحل هذا الخلق، والعكس صحيح فى حالات أخرى حيث يبدأ السياق القرآنى بالاشارة الى خلق الانسان ثم يتبع ذلك اشارة كونية سوآء أكانت سماوية أو أرضية.

وتتأكد تلك الخصيصة القرآنية وتظهر بوضوح فى قصار السور من جزء «عم» آخر أجزاء القرآن الكريم، كما يمكن ملاحظتها بصفة عامة فى العديد من السياقات القرآنية فى طوال السور أيضا، ومن أمثلة ذلك مايلى:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [الليل: ١-٣]، ففي تلك السورة الكريمة تبدأ بالاشارة لآيتين كونيتين من آيات الآفاق وهما الليل والنهار، ثم يتبع ذلك مباشرة بالاشارة الى آية نفسية وهى خلق الذكر والأنثى.

وفى سورة الشمس يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ [الشمس: ١ومابعدها]، فالسورة الكريمة تبدأ بالاشارة الا العديد من الآيات السماوية كالشمس والقمر والليل والنهار، ثم تشير إلى آية أرضية ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾، ثم يتلو ذلك مباشرة الاشارة الى آية نفسية ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾.

أما سورة الطارق فتستغرق معظم آياتها اشارات كونية ونفسية أيضا تتنوع وتتناوب فيما بينها، حيث يقول تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ [الطارق: ١– ١٢].

تبدأ السورة بالإشارة إلى آية سماوية وهو النجم الطارق ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾، ثم يتبع ذلك مباشرة الاشارة الى آية نفسية في قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾، ثم يعود السياق القرآني مرة أخرى الى اشارة كونية تتضمن آيتين من آيات الآفاق احداهما سماوية والأخرى أرضية في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾.

وفي سورة الواقعة يبدأ السياق القرآني في موضع فيها بآية نفسية تخص خلق الإنسان في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٥٩﴾، ثم تتبع ذلك بإشارات كونية أرضية وسماوية في قوله: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾، ثم قوله: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي

تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾، ثم قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾، ثم ينتهي السياق القرآني بالقسم بآية سماوية عظيمة في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾.

وفى نماذج قرآنية أخرى تتأكد تلك الخصيصة القرآنية فى الجمع غالبا بيت آيات الآفاق والأنفس، ولكن هذه المرة فى صورة مجملة موجزة، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢٢]، فالآية النفسية جاءت مجملة تتوسط آية أرضية وآية سماوية فيهما إجمال أيضا.

كما يظهر هذا الأسلوب المجمل المؤثر فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية: ٣- ٦]، فنفس القاعدة القرآنية موجودة حيث الجمع بين الآيات السماوية والأرضية فى صورة مجملة غير مفصلة، ثم يتلوها مباشرة آية نفسية تشير الى خلق الإنسان وباقي الدوآب، ثم العودة والإشارة إلى اختلاف الليل والنهار وإنزال الماء من السماء.

٢- التركيز على الآيات الكونية مقارنة بالنفسية:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧]، فتلك الآية الكريمة

تقرر حقيقة قرآنية وكونية أيضـا، ألا وهى أن خلق السـماوات والأرض أكبر من خلق الناس، على ما في خلق الناس من قدرة عظيمة، وبوجه آخر فان آيات الآفاق (آيات السـماوات والأرض) المذكورة في القرآن أو الموجودة في الكون الرحيب أكبر وأعظم من آيات الأنفس، وكلاهما عظيم.

لذلك نجد أن القرآن الكريم قد أسهب وفصل آيات الآفاق مقارنة بآيات الأنفس، وهو مايتضـح بسـهولة من حصر نوعى الآيات الواردة فى القرآن الكريم، حيث تشكل آيات الآفاق القدر الأكبر والأعظم فيهما.

٢- الاستدلال بالآيات الكونية والنفسية على القضايا الايمانية والغيبية:

من أهم خصـائص الآيات الكونية والنفسـية المرئية، أن تأتى بهدف الاسـتدلال على القضـايا الايمانية أو الغيبية كالبعث واحياء الموتى والايمان باليوم الآخر، وهو مايمكن أن يتضح لنا من خلال النماذج القرآنية التالية:

ففـي مجال إزالة الشـك عن عقيدة البعث بعد الموت، يسـتدل القـرآن الكريم بآية نفسـية تتعلق بأصـل وكيفية خلق الناس، ثـم يقرن معها آية أرضـية تتعلق باحياء الأرض الهامدة، حيث يقول سـبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ

مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ [الحج: ٥- ٧].

فالخطاب القرآني في الآية الخامسة من سورة الحج يستدل بآيتين من آيات الأنفس والآفاق احداهما تتعلق بخلق الناس والثانية تتعلق باحياء الأرض الهامدة، ليقرر خمس من القضايا الإيمانية والغيبية ويرسخها في النفوس وهى: أن الله هو الحق، وأنه يحيى الموتى، وأنه على كل شيئ قدير، وأن الساعة لاريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

يقول الإمام ابن قيم الجوزية[1]: «فجعل النظر في هذه الآية وماقبلها من خلق الجنين دليلا على هذه النتائج الخمس مستلزما للعلم بها».

وفى سورة الحديد يعطينا الخطاب القرآنى نموذجا آخر للاستدلال بآية أرضية تتمثل أيضا فى احياء الأرض بعد موتها، لتنبيه المؤمنين بأهمية أن تخشع قلوبهم لذكر الله قبل أن يطول عليهم الأمد فتقسوا قلوبهم، وأن آية إحياء الأرض بعد موتها تفتح أبواب الأمل أمام من قست قلوبهم للعودة مرة أخرى إلى حظيرة الإيمان والخشوع وذكر الله، حيث يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٦، ١٧].

وفى سورة نوح نجد الربط مابين توقير وتعظيم الله والتذكير بأنه قد خلق الناس

(١) (١٢) الإمام ابن قيم الجوزية: مرجع سابق، ص٢١٨.

على هيئة أطوار ومراحل، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: ١٣، ١٤]، فتدبر آيات الآفاق والأنفس طريق لمعرفة حق قدر الله وطريق لتعظيمه وتوقيره، مصداقا لقوله أيضا: : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧].

أما في سورة البروج فتأتى أولى آياتها على شكل قسم بآية سماوية وهى ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾، ليتبعها في الآية الثانية القسم باليوم الموعود وهو يوم القيامة، ففي هذا الموضع اقترنت الآية الكونية بقضية إيمانية غيبية للتذكير باليوم الموعود حيث يحاسب الناس أجمعين، حيث يقول تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾﴾ [البروج: ١، ٢].

وفى مواضع أخرى يوضح القرآن الكريم أن التفكر فى آيات الآفاق والأنفس هو سبيل الهداية وطلب العفو من الله والنجاة من عذاب النار والآخرة، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

٤- التنبيه على التفكر فى كيفية الخلق:

عندما يشير القرآن الكريم إلى النظر في كيفية خلق الأشياء، لايقصد به كيفية الخلق في الفعل الالهى، بل هذه الكيفية - فيما نرى- تتعلق بعدة أمور منها: كيفية التركيب - الكيفية الخاصة بالهيئة- الكيفية الخاصة بمجرى حدوث الظاهرة،

فكل هذه كيفيات تتعلق بطبيعة الأشياء وقوانينها وهيئتها وترتيبها ومراحل حدوثها، وكلها واقعة أمام النظر العقلي ليمارس فيها نشاطه، الذي يعبر به عن روح العلم الحقيقي الذي يحثه عليه القرآن الكريم، ومن هذه الكيفيات التي دعا القرآن إلى الاهتمام بدراستها قضية تمس الكون في جملته، وعلى أي نحو تشكل، والمراحل التي مر بها[1].

ففى مواضع متعددة ومتنوعة نجد حث تلك الآيات على التفكر فى كيفية الخلق، وعدم الاقتصار على النظر فقط والاعتبار بتلك الآيات الكونية أو النفسية، فالعبرة كما ورد فى العديد من الآيات القرآنية هو محاولة الوصول إلى اجابة شافية لأداة الاستفهام «كيف»، ومن أمثلة ذلك مايلى:

ففي تنبيه عام من المولى سبحانه وتعالى يحثنا على التفكر فى كيفية بدأ الخلق من خلال السير في الأرض للتنقيب والبحث والدراسة المتأنية، حيث يقول تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، فهو تنبيه شامل جامع تم تفصيله فى العديد من المواضع والآيات القرآنية الأخرى كما سوف نوضح فى النماذج التالية.

وفى مجال البحث عن كيفية خلق وبناء السماوات نستدل بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥]، كما يقول أيضا مؤكدا على نفس المطلب: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

كما نبه سبحانه وتعالى في سورة الغاشية على أهمية التفكر والنظر في كيفية خلق

---

(١) فاطمة إسماعيل محمد (١٩٨٩). القرآن والنظر العقلى، رسالة ماجستير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ص ٦٦ ، ٦٧ .

العديد من المخلوقات (خلق الإبل، رفع السماء، نصب الجبال، تسطيح الأرض)، حيث يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧– ٢٠].

كما نبه سبحانه وتعالى إلى التفكر في كيفية حدوث بعض الظواهر الطبيعية مثل مد وقبض الظل، حيث يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الفرقان: ٤٥، ٤٦].

وفى مجال الاعتبار بما حدث للأمم الغابرة التى كفرت بأنعم الله، يدفعنا القرآن دفعا للنظر والتفكر فيما حدث لتلك الأمم، من خلال السير فى الأرض للبحث ودراسة ماتبقى من آثار تلك الأمم، وهو مايتضح من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩].

يتضح لنا من النماذج القرآنية السابقة للعديد من آيات الآفاق والأنفس تميزها بخصيصة التنبيه على التفكر بمنهجيه معينة، ألا وهى طرح الأسئلة التى تبدأ بأداة الاستفهام «كيف»، ومحاولة الاجابة على تلك الأسئلة من خلال التفكر والسير فى الأرض للدراسة المتأنية، أو النظر العميق الى السماء وباقى المخلوقات من خلال الرؤية العلمية المتعمقة، لكشف أسرار خلق هذا الكون الرحيب.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

مستويات رؤية الإعجاز في آيات الآفاق والأنفس

ان الدارس والمتأمل فى آيات الآفاق والأنفس، يجد أن مستويات دراسة وفهم الاعجاز فى العديد من تلك الآيات تتعدد وتتعمق، بحيث يمكن تقسيمها الى ثلاثة مستويات كمايلى:

١) الاعجاز على مستوى آية واحدة أو عدة آيات قرآنية، والتى تتناول وتشير الى أحد موضوعات الآفاق أو الأنفس.
٢) الاعجاز على مستوى اللفظ القرآنى.
٣) الاعجاز على مستوى الحرف (حروف المعانى).

وسوف نعطى خلال المحورين التاليين نموذجين تحليليين من الآيات القرآنية التى ينطبق عليها التقسيم السابق، وسيكون أحد هذين النموذجين مشيرا الى آية من آيات الأفاق والثانى يشير الى آية من آيات الأنفس.

والغرض الأساسى من عرض هذين النموذجين التحليليين ليس توضيح وجه الاعجاز فقط، ولكن مايهمنا فى هذا المقام هو توضيح مستويات الاعجاز المذكورة السابقة، وذلك لأن كل مستوى من تلك المستويات يعمق ويجلى الاعجاز العلمى الوارد فى الآية أو الآيات، سواء أكانت من آيات الأفاق أم الأنفس.

النموذج التحليلى الأول: آية السحاب الركامى:

سنعرض فى هذا المحور نموذجا تحليليا لمستويات الاعجاز الثلاثة، تطبيقيا على احدى آيات الآفاق وهى الآية (٤٣) من سورة النور، والتى تتحدث عن مراحل تكوين السحاب الركامى والظواهر الجوية المصاحبة[1]، وهى تدخل تحت مايعرف

(١) المعلومات العلمية الواردة فى هذا المحور من الفصل منقولة عن: مجموعة من الباحثين (١٤٢١ هجرية). وصف أنواع الرياح، السحاب، المطر. هيئة الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة، مكة المكرمة.

الآن بعلم «الأرصاد الجوية»، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٣].

ا- الاعجاز على مستوى الآية:

يظهر الاعجاز على مستوى الآية الكريمة من خلال أمرين، الأول هو ذكرها بدقة لمراحل تكون السحاب الركامى كما هو معروف فى علم الأرصاد الجوية، والثانى هو ذكر الظواهر الجوية المصاحبة لتلك النوعية من السحب.

مراحل تكون السحاب الركامى في علم الأرصاد الجوية:

أ- بداية التكوين ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾:

يبدأ تكون السحاب الركامى بأن تسوق الرياح قطعاً من السحب الصغيرة إلى مناطق تجميع معينة، يؤدى سوق قطع السحاب لزيادة كمية بخار الماء، وهذا السوق ضروري لتطور السحب الركام المزنى في مناطق التجمع (وتستغرق بضع ساعات).

ب- تطور السحب الركامية (التجميع) ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾:

سرعة السحب تكون أبطأ من سرعة الرياح المسيرة لها، وكلما كبر حجم السحابة كانت سرعتها أبطأ، وتقل سرعة الرياح عامة كلما اتجهنا إلى مناطق التجمع، ويؤدى هذان العاملان إلى أن قطع السحب تقترب من بعضها، ثم تتلاحم (عملية التأليف)، شكل (٤).

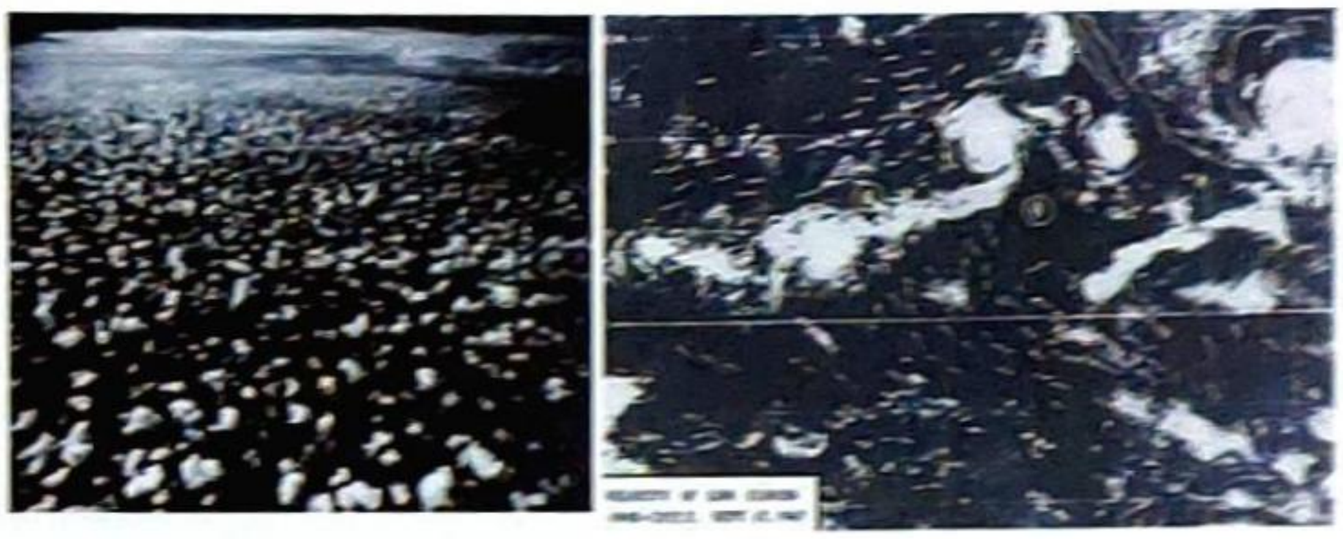

شكل (٤): صورة بالأقمار الصناعية توضح مرحلة تجمع السحب الصغيرة فى مناطق معينة (B).

جـ - الركم ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾:

إذا التحمت سحابتان أو أكثر فإن تيار الهواء الصاعد داخل السحابة يزداد بصفة عامة، ويؤدى ذلك إلى مزيد من جلب بخار الماء من قاعدة السحابة.

وقد أثبتت الشواهد أن التحام السحب يؤدى إلى زيادة كبيرة فى الركم وبالتالى زيادة سمك السحابة، شكل (٥).

الظواهر الجوية المصاحبة:

١- زخات من المطر أو البرد أو كليهما ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾، انظر شكل (٦).

٢- البرق ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

وجد علماء الأرصاد بأن مصدر الشحنات السالبة للتفريغات المتتالية من السحاب إلى الأرض يوجد على ارتفاعات محصورة بين سطحين متاخمين درجة حرارتهما (-١٥) و (٢٥) درجة، وتتطابق مع منطقة وجود أمطار وثلوج بين هذين المستويين.

وبالرغم من اختلاف أنواع السحب الركامية جغرافيا أو فصلياً فإن حيز الحرارة الذى توجد بداخله مراكز الشحن السالبة ثابت لايختلف.

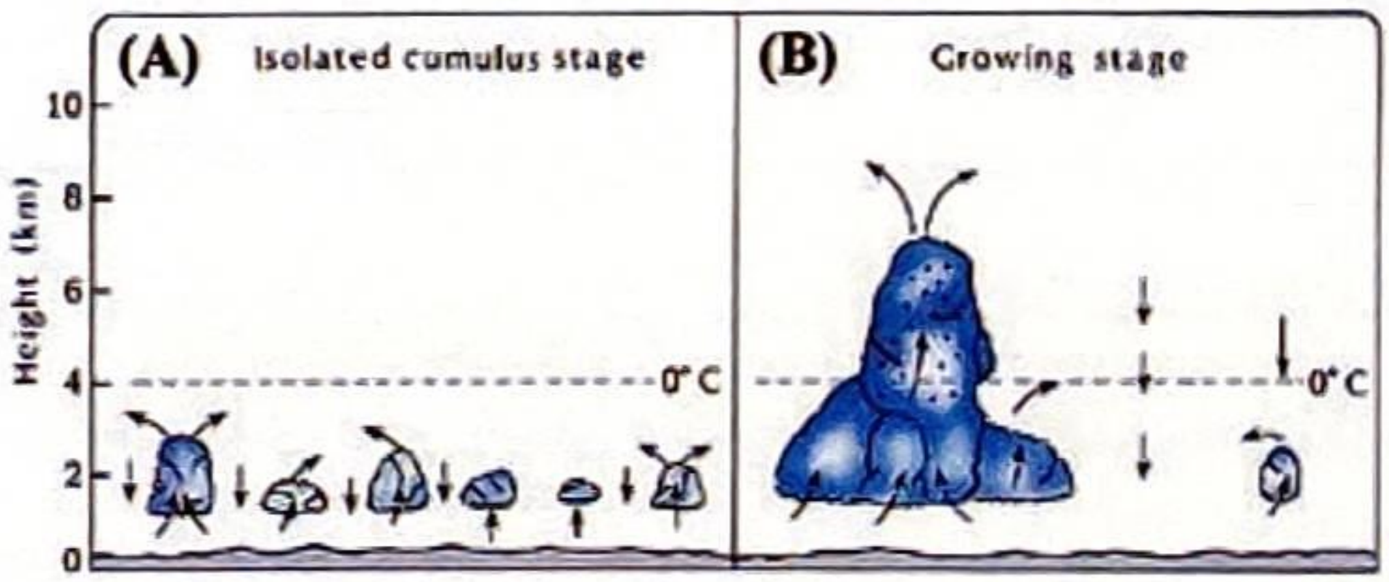

شكل (٥): التحام السحب يؤدى إلى زيادة كبيرة فى الركم وبالتالى زيادة سمك السحابة.

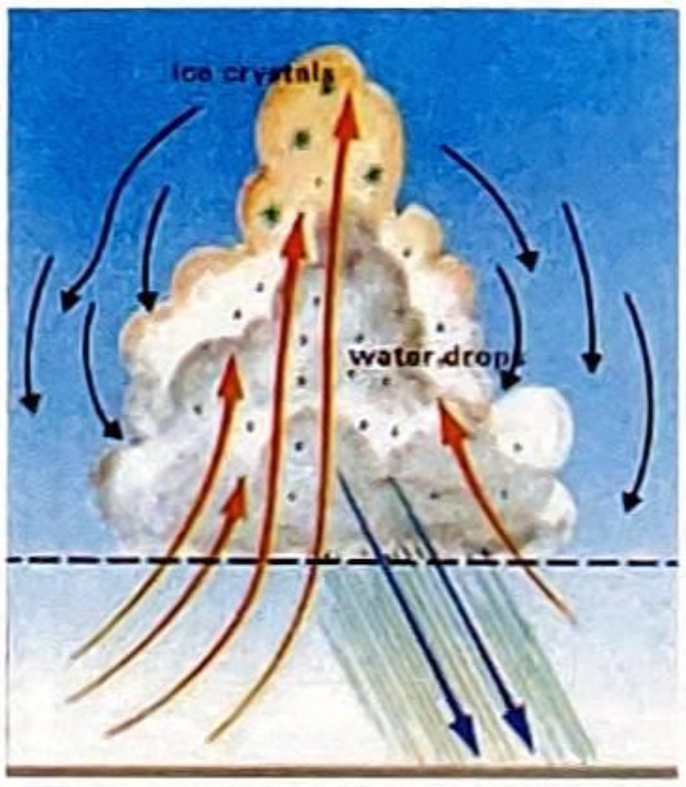

شكل (٦): الظواهر الجوية (المطر، البرد، البرق) المصاحبة لهذا النوع من السحاب الركامى.

مما سبق يتضح لنا مستوى الاعجاز على مستوى الآية الكريمة ككل، حيث تذكر وتحدد بدقة مراحل تكوين السحاب الركامي خطوة خطوة مشيرة إلى التدرج الزمني، بما يتوافق مع علم الأرصاد الجوية وهو من العلوم الحديثة التى عرفتها البشرية و لم تكن معروفة وقت نزول القرآن الكريم.

٢- الاعجاز على مستوى اللفظ:

ويظهر ذلك من فهم معانى الألفاظ التى وردت فى الآية الكريمة، والتى تتوافق مع مايحدث بالفعل فى الطبيعة، شارحة مراحل تكون السحاب الركامى بدقة

متناهية، بحيث لايمكن أن تستبدل كلمة بكلمة أخرى والا اختل المعنى أو أصبح غير دقيق، وهو مايظهر مما يلى:

﴿ يُزْجِي سَحَابًا ﴾: أى أن الريح هى التى تسوق السحاب سوقا رفيقا، وهذا هو معنى الإزجاء، فمن الذى أخبر محمداً صلي الله عليه وسلم، بأن أول خطوة في تكوين السحاب الركامي تكون بدفع الهواء للسحاب قليلا قليلا (أى يزجى سحابا)، فتستخدم لفظة ﴿ يُزْجِي ﴾ دون باقى الألفاظ.

﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ﴾: التأليف هو الجمع مع الترتيب والملاءمة، أى تأليف قطع السحاب الصغيرة لتتجمع فى مناطق معينة مكونة سحب أكبر، وذلك على مستوى الامتداد الأفقى.

﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا ﴾: الركم القاء الشيء بعضه فوق بعض، بمعنى تكون طبقات رأسية السحاب ممتدة الى أعلى فى السماء.

﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾: أى يخرج المطر من فتوقه ومخارجه، وذلك لوجود منافذ معينة ينزل منها المطر من خلال السحاب، فمن أخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام بأن في السحاب مناطق خلل وهي التي ينزل منها المطر؟ .

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾: أى ينزل من الغمام من قطع فيها تشبه الجبال فى العظم، والبرد وهو الثلج، فمن أنبأ الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم عن نوبات البرد التي لابد منها في السحاب الركامى لكي يتكون البرد.

وتشبيه شكل هذا السحاب بالجبال فيها اعجاز كبير حيث يمكن أن يصل ارتفاع تلك النوعية من السحاب الى حوالى ١٥كم، فمن أخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام بأن الشكل الجبلي وصف للسحاب الذي ينزل منه البرد؟.

﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ : يبين الله أن للبرد برقا شديد اللمعان يخطف الأبصار، فمن الذي أنبا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بأن للبرد برقاً وأن البرد هو السبب في حصوله ؟ .

٣- الاعجاز على مستوى الحرف:

ورد في الآية الكريمة حرفان من حروف المعانى، الأول هو (ثم) وهو يفيد الترتيب مع التراخي، والثاني هو (الفاء) وهو يفيد الترتيب مع التعقيب، ووجه الاعجاز فى استخدام هذين الحرفين يظهر مما يلى:

فالمرحلة الثانية هي التأليف بين قطع السحاب ﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ﴾، هذه المرحلة تستغرق فترة زمنية فعبر القرآن عنها بحرف (ثُمّ).

والمرحلة الثالثة هى مرحلة الركم للسحاب الواحد، وهو العامل المؤثر بعد عملية التأليف ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا ﴾، وأن ذلك الانتقال كذلك من حالة التأليف يستغرق بعض الوقت .

أما عقب توقف عملية الركم (الناتجة عن عملية الرفع) أعقبها نزول المطر مباشرة ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾، لذا استخدم هنا حرف (الفاء) الذي يفيد الترتيب مع التعقيب.

النموذج التحليلى الثانى: آيات مراحل خلق الجنين [1]:

ورد فى آيات كريمات من سورة «المؤمنون» مراحل خلق الجنين فى بطن الأم، وتحديدا فى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ

---

(١) كل المعلومات الواردة فى هذا المحور من الفصل منقولة من:
Abdul-Majeed A.Zindani , E. Marshall jonson & Keith L. Moore (2000). Human Development. As Described in the Qur`an and Sunnah (second edition). Commission on Scintific Sings in the Qur`an and Sunnah, Makkah Al-Mukarramah.

جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون:١٢-١٤].

وهى تفصيل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح:١٣، ١٤]، والتى أكدت على أن خلق الجنين يكون على هيئة أطوار أو مراحل، وهى التى فصلتها آيات سورة المؤمنون.

١- الإعجاز على مستوى الآيات:

استنتج المتخصصون فى علم الأجنة من تحليل الآيات القرآنية، أنها تتضمن وصفاً دقيقاً شاملاً لأطوار ومراحل التخلق البشري كمايلى:

مرحلة خلق آدم أبو البشر ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾:

وهى مرحلة الخلق المباشر لسيدنا آدم من طين، ثم بعد ذلك وبعد خلق أمنا حواء بدأتْ عملية خلق الجنين داخل بطن الأم، عن طريق التزاوج بين الذكر والأنثى وهى التى فصلتها الآية الكريمة أيضا من خلال ثلاثة مراحل هى:

المرحلة الأولى: النطفة ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾:

لقد حدد القرآن الكريم أول مراحل النطفة بالماء الدافق فقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾ [الطارق:٥-٦]، وحدد آخرها بحرث النطفة أي غرسها في القرار المكين ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾.

وفى موضع آخر من القرآن يوضح أن تلك النطفة هى خليط من ماء الرجل وماء المرأة، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ

نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، فكلمة أمشاج أى خليط بين المائين.

المرحلة الثانية: التخليق:

وتتألف المرحلة الثانية من أربعة أطوار: العلقة، المضغة، العظام، اللحم، وهو ماقرره القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾.

وتمتد هذه المرحلة ابتداءً من الأسبوع الثالث حتى نهاية الأسبوع الثامن، وأهم ما يميزها هو التكاثر السريع للخلايا، ونشاطها الفائق في تكوين الأجهزة مما يجعل وصف التخليق وصفاً دقيقاً معبراً عن طبيعة العمليات الداخلية، والمظهر الخارجي للجنين حيث ينتقل من مظهر غير متميز إلى مظهر إنساني متميز في الأسبوع السابع نتيجة لانتشار الهيكل العظمي ثم بناء العضلات في الأسبوع الثامن .

المرحلة الثالثة: النشأة:

تبدأ مرحلة النشأة في الأسبوع التاسع، ويكون معدل النمو بطيئاً حتى بداية الأسبوع الثاني عشر وحينئذ يدخل طوراً جديداً من النمو السريع والتغير الكبير، فيبدأ التمايز بين الأعضاء والأجهزة المختلفة، والتمايز أيضا فى الأعضاء التناسلية، وزيادة وزن الجنين..، فيصبح خلقا آخر كما ورد فى الآية الكريمة ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾.

ان ذكر القرآن الكريم للمراحل السابقة اجمالا وتفصيلا، فى الوقت الذى لم يكن هناك أي تدوين مميز شامل للتخلق البشري كالتصنيف المرحلي وعلم المصطلحات والوصف قبل نزول القرآن الكريم، فان هذا يعنى سبق الوصف القرآني والنبوي بقرون كثيرة في معظم الحالات إن لم يكن في كلها، وتسجيل المراحل المختلفة لتخلق الجنين البشري في المؤلفات العلمية المعروفة، قبل اكتشاف

الأجهـزة العلمية الحديثة كالمجهر المركب على سـبيل المثال، حيث لم تكن هناك أية وسيلة نعرفها لمراقبة المراحل الأولى للتخلق البشري (النطفة على سبيل المثال).

٢- الإعجاز على مستوى الألفاظ:

النطفـة: النطفـة في اللغة العربية تطلـق على عدة معان منهـا : القليل من الماء والـذي يعدل قطـرة، وبما أن لفظ نطفة يأتي بمعنى الكمية القلية من السـائل، فإن هذا المصـطلح يغطي ويصف تلك الكميات من السوائل التي تخرج متدفقة لدى كل من الذكر والأنثى.

قرار مكين: وصف القرآن الكريم النطفة بأدق وصف، ووصف المكان الذي تستقر فيه النطفة بوصـفين جامعين معبرين، قال سـبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾.

فكلمة (قرار) في الآية الكريمة تشير إلى العلاقة بين الجنين والرحم، فالرحم (مكان لاستقرار الجنين)، أما مكين فهي تشير إلى العلاقة بين الرحم وجسم الأم.

يقول الزبيدي : (قرار) معناه: (اسـتقر واسـتراح)، وكذلك القرار هو مكان يسـتقر فيه الماء ويتجمع، وقد وصف القرآن الكريم المكان الذي تستقر فيه النطفة (في الرحم) بأنه قرار، وقد كشف العلم الكثير من التفاصيل لهذا الوصف الجامع المعبر، فالرحم للنطفة ولمراحل الجنين اللاحقة سكن لمدة تسعة أشهر .

وبالرغم من أن طبيعة الجسـم أن يطرد أي جسـم خارجي، فإن الرحم يأوي الجنين ويغذيه، وللرحم عضـلات وأوعية رابطة تحمي الجنين داخله، ويسـتجيب الرحم لنمو الجنين ويتمدد بدرجة كبيرة ليتلائم مع نموه فهو قرار له، شكل (٧).

أما كلمة «مكين» فتعني مثبت بقوة، وهذا يشـير إلى علاقة الرحم بجسـم الأم، وموقعه المثالي لتخلق ونمو كائن جديد، حيث يقع الرحم في وسـط الجسـم، وفي

مركز الحوض وهو محاط بالعظام والعضلات والأربطة التي تثبته بقوة في الجسم. أي أنه مكين ، كما قرر القرآن الكريم، وهذا أيضـاً لفظ جامع معبر عن كل المعاني التي تبين تمكن الرحم وتثبيته في جسم الأم.

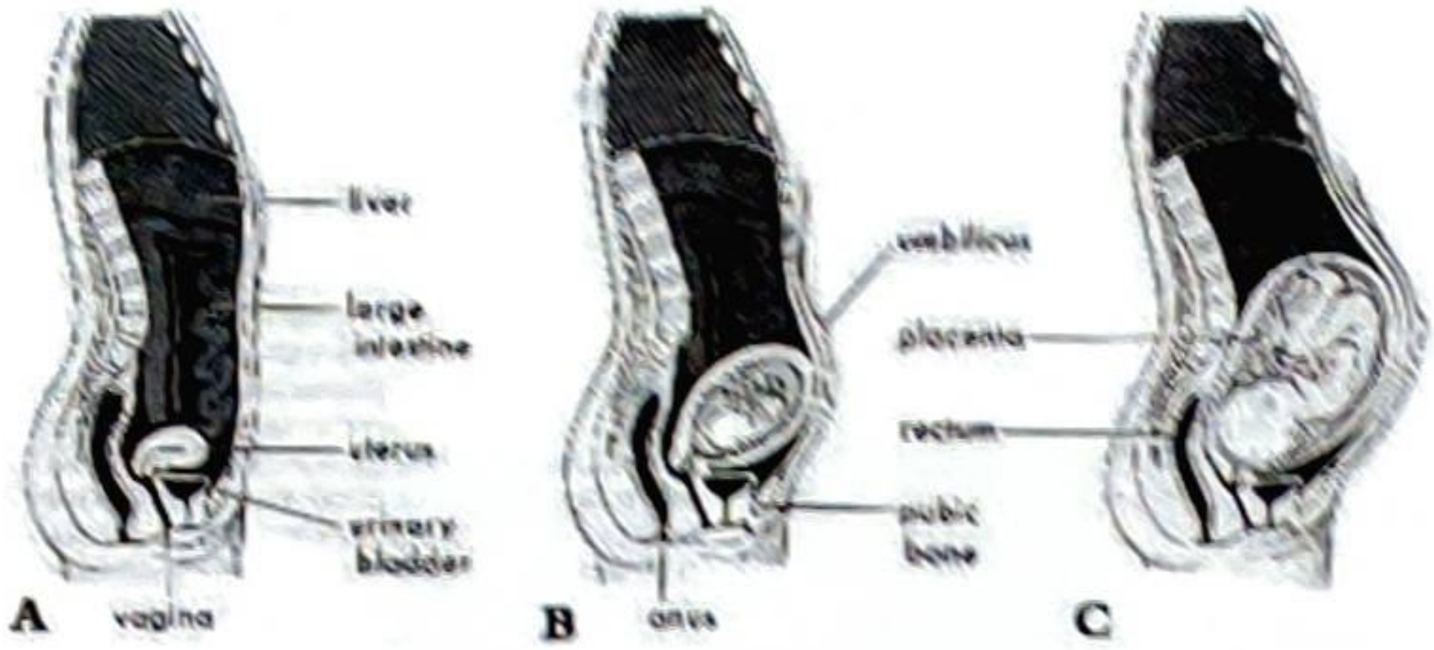

شكل (٧): تظهر هذه الرسوم وصف الرحم بأنه قرار مكين .

(أ) قبل الحمل (ب) الحمل في الأسبوع ٢٠ (ج) الحمل في الأسبوع ٣٠ ومع نمو الجنين يزداد حجم الرحم ليستوعب سرعة نمو الجنين.

هكذا فإن كل وصف يتضمن العلاقة بين الجنين والرحم وبين الرحم وجسم الأم، قـد أدخل في معنى الكلمتين (قرار) و (مكـين) اللتين تعبران تعبيراً تاماً عن حقيقة الرحم ووظائفه الدقيقة ولا يفطن إلى أهمية هذين الوصفين إلا من له علم بحاجات نمو الجنين، وحاجات الرحم، لمواكبة هذا النمو حتى يخرج سليماً.

العلقة: وردت كلمة (علقة) في كتب اللغة بالمعاني الآتية:

لفظة (علقة) مشـتقة من (علق) وهو: الإلتصاق والتعلق بشيء ما، والعلقة: دودة في المـاء تمتص الدم، وتعيش في البرك، وتتغذى على دماء الحيوانات التي تلتصـق بها، والجمع علق.

والعلق: الدم عامة والشـديد الحمرة أو الغليظ أو الجامد،وهذا ما أشـار إليه أكثر المفسرين، ويضاف إلى ذلك أن العلقة تطلق على: (الدم الرطب).

تستغرق هذه العملية أكثر من أسبوع حتى تلتصق النطفة بالمشيمة البدائية بواسطة ساق موصلة تصبح فيما بعد الحبل السري، وفي أثناء عملية الحرث تفقد النطفة شكلها لتتهيأ لأخذ شكل جديد هو: العلقة، الذي يبدأ بتعلق الجنين بالمشيمة، ووصف القرآن الكريم هذا التعلق بالعلقة، وهذا يتفق مع المعنى (التعلق بالشيء) الذي يعتبر أحد مدلولات (كلمة علقة).

أما إذا أخذنا المعنى الحرفي للعلقة (دودة عالقة) فإننا نجد أن الجنين يفقد شكله المستدير ويستطيل حتى يأخذ شكل الدودة، ثم يبدأ في التغذي من داء الأم، مثلما تفعل الدودة العالقة، إذ تتغذى من دماء الكائنات الأخرى، ويحاط الجنين بمائع مخاطي تماماً، مثلما تحاط الدودة بالماء، ويبين اللفظ القرآني «علقة» هذا المعنى بوضوح طبقاً لمظهر وملامح الجنين في هذه المرحلة.

وطبقاً لمعنى (دم جامد أو غليظ) للفظ العلقة، نجد أن المظهر الخارجي للجنين وأكياسه يتشابه مع الدم المتخثر الجامد الغليظ لأن القلب الأولي وكيس المشيمة، ومجموعة الأوعية الدموية القلبية تظهر في هذه المرحلة، وتكون الدماء محبوسة في الاوعية الدموية حتى وإن كان الدم سائلاً، ولا يبدأ الدم في الدوران حتى نهاية الأسبوع الثالث وبهذا يأخذ الجنين مظهر الدم الجامد أو الغليظ مع كونه دماً رطباً.

المضغة : المضغة في اللغة تأتي بمعان متعددة منها:
(شيء لاكته الأسنان)، وفي قولك (مضغ الأمور) يعني صغارها، وذكر عدد من المفسرين أن المضغة في حجم ما يمكن مضغه.

وعند اختيار مصطلحات لمراحل نمو الجنين، ينبغي أن يرتبط المصطلح بالشكل الخارجي، والتركيبات الداخلية الأساسية للجنين، وبناء على هذا فإن إطلاق اسم مضغة على هذا الطور من أطوار الجنين يأتي محققاً للمعاني اللغوية للفظة: مضغة.

كما أوضـح علم الأجنة الحديث مدى الدقة في اختيار تسمية «مضغة» بهذا المعنى، إذ وجد أنه بعد تخلق الجنين والمشـيمة في هذه المرحلة يتلقى الجنين غذاءه وطاقتـه، وتتزايد بذلك عملية النمـو بسرعة، ويبدأ ظهور الكتل البدنية المسـماة فلقات التي تتكون منها العظام والعضلات.

ونظـراً للعدد من الفلقات (الكتل البدنية) التي تتكون فإن الجنين يبدو وكأنه مادة ممضوغة عليها طبعات أسنان واضحة فهو مضغة، شكل (٨).

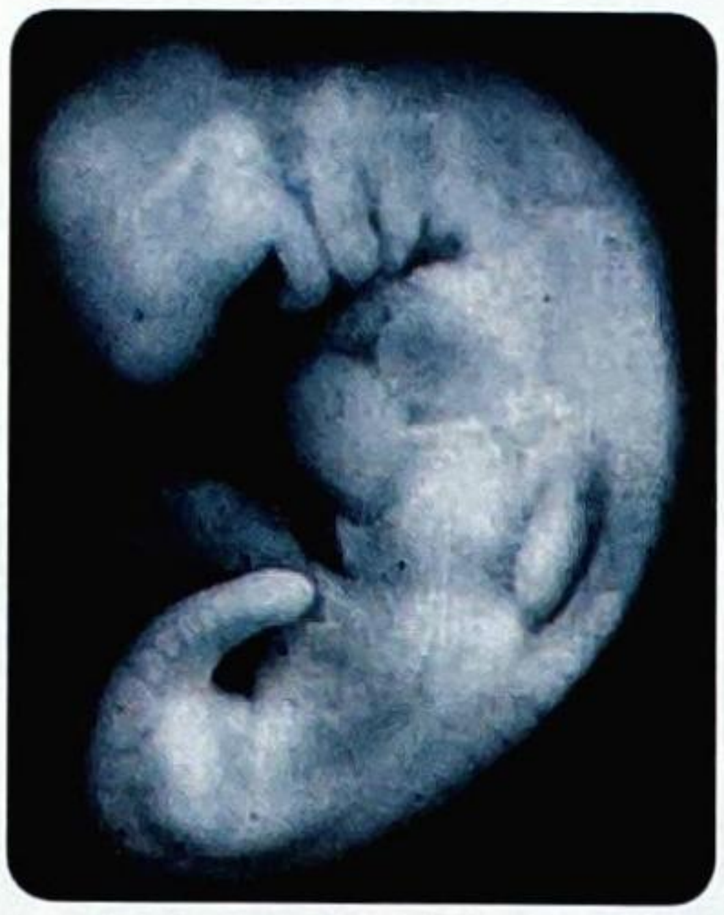

شكل (٨): مرحلة المضغة، وظهور الفلقات التي تعطي مظهراً يشبه مظهر طبع الأسنان في المادة المضوغة.

يكـون الجنين في اليومـين ٢٣-٢٤ في نهاية مرحلة العلقة، ثـم يتحول إلى مرحلة المضغة في اليومين ٢٥-٢٦ ويكون هذا التحول سريعاً جداً، ويبدأ الجنين خلال آخر يوم أو يومين من مرحلة العلقة إتخاذ بعض خصـائص المضـغة، فتأخذ الفلقات في الظهور لتصبح معلماً بارزاً لهذا الطور.

ويصف القرآن الكريم هذا التحول السريع للجنين من طور العلقة إلى طور المضغة باستخدام حرف العطف (ف) الذي يفيد التتابع السريع للأحداث.

٣- الاعجاز على مستوى الحروف:

ورد فـى الآيات الكريمة حرفان من حروف المعانـى، الأول: (ثم) وهو يفيد الترتيـب مـع التراخي، والثـاني: (الفاء) وهو يفيـد الترتيب مـع التعقيب، ووجه الاعجاز فى استخدام هذين الحرفين يظهر من خلال السياق القرآنى.

لقد قسمت هذه الآية الكريمة مراحل تطور الجنين الإنساني إلى ثلاث مراحل أساسـية، وهى: مرحلة النطفة (أسـبوعان)، والمرحلة الثانيـة هي مرحلة التخليق (سـتة أسـابيع من الثالث الى الثامن)، والمرحلة الثالثة هي مرحلة النشأة (يبدأ هذا الطور في الأسـبوع التاسـع ويستمر الأسبوع السـادس والعشرين)، شكل (٩)، وكل المراحل السابقة تعادل ستة شهور قمرية.

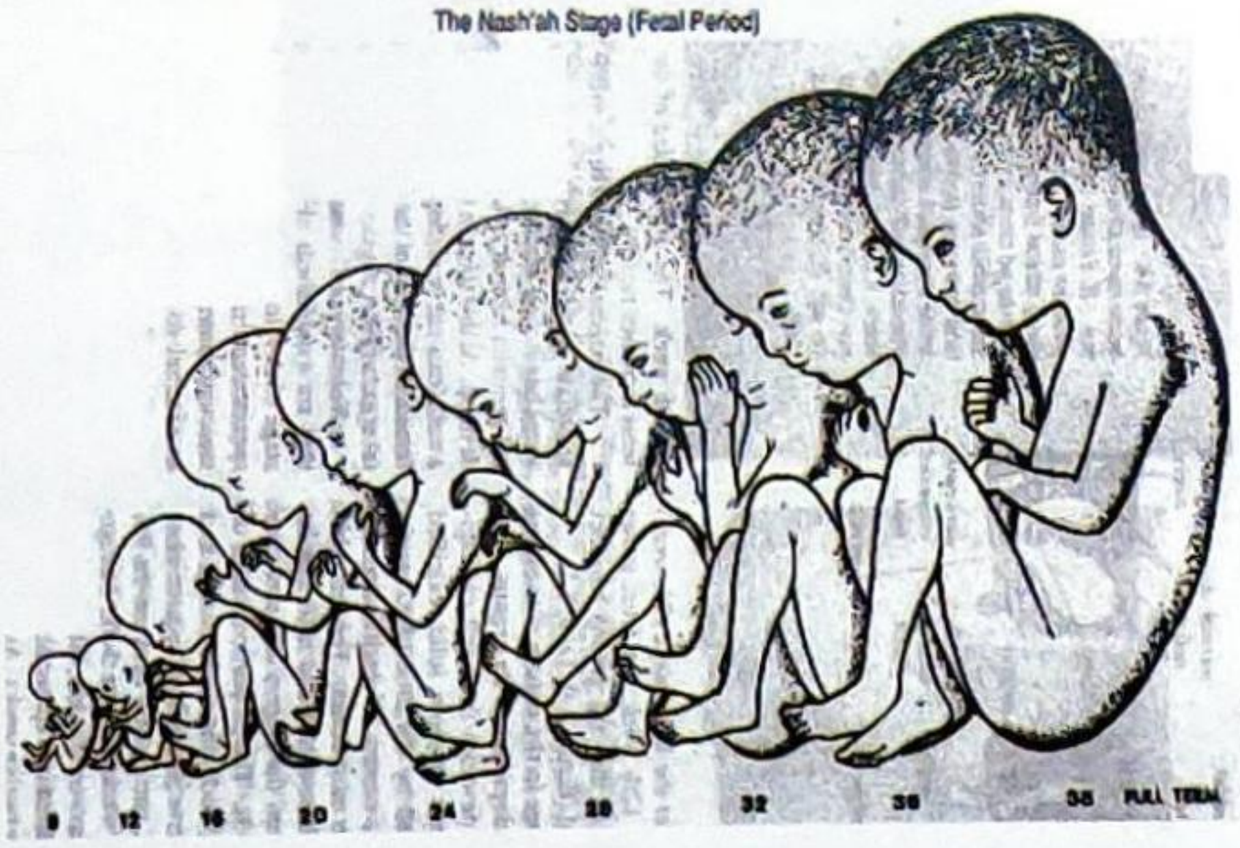

شكل (٩): تعديل مقاييس الجسم فى مرحلة النشأة.

ولما كانت الولادة عادة تتم بعد تسـعة أشـهر قمرية، فإنه يمكن اعتبار الأشهر الثلاثـة الواقعـة بين نهاية الحمل والولادة هى فترة حضـانة رحمية، لأن الأشـهر الستة كافية لخروج الإنسان ليبقى على قيد الحياة.

وقد تم الفصـــل بين المراحل الثلاثة بحرف (ثـــم) والذى يفيد الترتيب مع التراخى بين تلك المراحل كالتالى: اسبوعان، ستة أسابيع، أربعة عشر اسبوعا على التوالى.

ونظرا الى أن المرحلة الثانية (التخليق) تتألف من أربعة أطوار:

- **العلقة** (يبدأ هذا الطور اليوم الخامس عشر وينتهي في اليوم الثالث والعشرين أو الرابع والعشرين).
- و**المضغة** (من اليوم الرابع والعشرين إلى السادس والعشرين وهي فترة وجيزة إذا قورنت بفترة تحول النطفة إلى علقة).
- و**العظـام** (مع بداية الأســبوع الســابع يبــدأ الهيكل العظمــي الغضروفي في الانتشار في الجسم كله فيأخذ الجنين شكل الهيكل العظمي).
- و**اللحم** (وتبدأ مرحلة كساء العظاء باللحم في نهاية الأسبوع السابع وتستمر طوال الأسبوع الثامن وتأتي عقب طور العظام).

وتمتد هذه المراحل الفرعية فى طور التخلق ابتداءً من الأســبوع الثالث حتى نهاية الأســبوع الثامن، وأهم ما يميزها هو التكاثر السريع للخلايا، ونشــاطها الفائق في تكوين الأجهزة، ونظراً لأن العمليات التخليقية للجنين تتم بسرعة كبيرة، وتتلاحق فيها الأحداث خلال هذه الفترة، فإننا نلحظ أن القرآن الكريم قد اســتعمل حرف العطــف (الفــاء) الذي يفيد الترتيب مع التعقيب للربــط والإنتقال بين أطوار هذه المرحلة.

الفصل الرابع

الفصل الرابع

نموذج للقراءة التدبرية تطبيقا على آيات الظل والظلال

نبه المولى سبحانه وتعالى الى أهمية تدبر القرآن الكريم فى أربعة مواضع، نفصلها فيما يلى:

قولـه تعالـى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

وقولـه تعالـى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقولـه تعالـى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

يقول الامام الطبرى[١]: «ليتدبروا حجج الله التى فيه، وماشرع الله فيه من الشرائع، فيتعظوا ويعملوا به»، ويقـول الامام ابن كثير التدبر هو[٢]: «تفهم معانى ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقة، ومادخل فى ضـمنها، ومالايتم تلك المعانى الا بـه، مما لم يعرج اللفظ على ذكره من الاشـارات والتنبيهـات، وانتفاع القلب بذلك بخشوعه عند مواعظه، وخضوع لأوامره، وأخذ العبرة منه».

وعـرف بعض المعاصريـن التدبـر بأنـه[٣]: «التفكر باسـتخدام وسـائل التفكير والتساؤل المنطقى للوصول الى معان جديدة، يحتملها النص القرآنى وفق قواعد

---

(١) هاشـم بن على الأهدل (١٤٢٩ هجرية). تعليم تدبر القرآن الكريم. وزارة الشـئون الاسـلامية والأوقاف والدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية، ص ١١.

(٢) المرجع نفسه، ص١١.

(٣) المرجع نفسه، ص١

اللغة العربية، وربط الجمل القرآنية ببعضها، وربط السور القرآنية ببعضها، واضفاء تساؤلات مختلفة حول هذا الربط».

وعليه فان مفهوم التدبر يشمل الأمور التالية[١]:

- معرفة معانى الألفاظ ومايراد بها.
- تأمل ماتدل عليه الآية أو الآيات، مما يفهم من السياق وتركيب الجمل.
- اعتبار العقل بحججه، وتحرك القلب ببشائره وزواجره.
- اليقين بأخباره، والخضوع لتعاليمه.

ان الهدف من هذا الفصل[٢] هو اظهار أحد جوانب الاعجاز القرآني فى حديثه عن الظل والظلال من خلال القراءة التدبرية لآيات الظل والظلال التى وردت فى القرآن الكريم، وسيتم ذلك من خلال محورين أساسيين:

الأول: توضيح الدلالات العلمية الواردة فى آيات الظل والظلال بالقرآن الكريم.

الثانى: ابراز وجه الاعجاز القرآنى فى توضيحه أن الظل المشاهد فى الطبيعة ليس كله واحدا، واعطائه نماذج محددة ومختلفة لأنواع الظلال وهو مايعد اعجازا وسبقا قرآنيا منذ أكثر من أربعة عشر قرنا.

١- كيفية تكون الظلال وأسلوب حركتها فى الطبيعة:

الظلال هى أحدى النعم التى امتن بها الله سبحانه وتعالى على عباده، والظل في اللغة نقيض الضح (بالكسر) أو هو الفيئ، أو هو بالغداة والفيئ بالعشى، ومكان ظليل ذو ظل، والظلة شيء كالصفة يستتر به من الحر والبرد، والظلال والمظلة (بالكسر والفتح) الكبير من الأخبية، والظليلة مستنقع الماء في أسفل مسيل الوادي

---

(١) صالح بن فوزان الفوزان (١٤١٩ هجرية). تدبر القرآن. دار القاسم، الرياض، ص١٢.

(٢) هذا الفصل عبارة عن بحث منشور للمؤلف وتم القاؤه فى مؤتمر الاعجاز العلمى الذى أقيم فى جامعة عبد المالك السعدى بمدينة تطوان المغربية عام ٢٠٠٧م، تحت عنوان: «اعجاز آيات الظل والظلال فى القرآن الكريم»

والروضة الكثيرة الحرجات، والظلل الماء تحت الشجر لا تصيبه الشمس[١].

وفي المعجم الوجيز[٢]: الظل هو ضوء الشمس إذا استترت عنك بحاجز، والظليل ذو الظل ويقال ظل ظليل أي دائم، وعلى ذلك فان الظل بمعناه العام يشمل الخيال الناتج عن الأشياء في اتجاه سقوط أشعة الشمس.

إن تكوّن الظل هو أحد نتائج انتشار الضوء في خطوط مستقيمة، ويطلق تعبير الظل على احتجاز النور عن منطقة ما بوجود حاجز معتم يعترض مسار موجات هذا النور (الضوء المرئي) القادم من أحد مصادر الضوء في اتجاه واحد[٣].

وإذا تعرض أي جسم للإشعاع الشمسي (الضوء الطبيعي) فان الجانب المعرض مباشرة للشمس يكون مضيئا، أما الجانب الآخر من الجسم الذي ليس في مواجهتها فيكون واقعا في الظل، فعلى سبيل المثال لو وضع أي مجسم هندسي معرضا للشمس فإن النصف المعرض للشمس يكون مضيئا أما النصف الآخر فيكون في الظل ويطلق عليه الظل الحقيقي[٤]، أي الذي يلقيه الجسم بنفسه على نفسه، ثم نجد أن هذا الجانب المظلل من المجسم الهندسي يقوم بإلقاء ظل على الأرض أو أي مستوى أو جسم آخر وهو ما يعرف باسم الظل الساقط[٥]، أو الظل الظاهرى، شكل (١٠).

أما بالنسبة لأسلوب حركة الظلال بصورة عامة، فيمكن أن يتضح بمراقبة ظل

---

(١) الفيروزابادى (١٩٧٧). القاموس المحيط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

(٢) مجمع اللغة العربية (٢٠٠٠). المعجم الوجيز . طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، جمهورية مصر العربية.

(٣) للمزيد من التفاصيل انظر كل من:
° زغلول النجار (٢٠٠٥). من أسرار القرآن. جريدة الأهرام (١٦ مايو ٢٠٠٥)، القاهرة، ص١٣، وعبد الرحمن محمد نصار (١٩٧٤). الظل..الظلال..المنظور. القاهرة، ص٦.
وموفق حميد (بدون تاريخ). كيف نرسم نظريا. المكتبة الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، ص ٦٠ ومابعدها.

(٤) أحمد كمال لبيب (١٩٧٧). الهندسة الوصفية. القاهرة، ص٨٤-ص٨٨.

(٥) يحيى وزيرى: "اعجاز آيات الظل والظلال فى القرآن الكريم"، مرجع سابق.

جسم أو شاخص معرض للإشعاع الشمسي، حيث نرى أن الشمس عند طلوعها صباحا من جهة الشرق وحتى منتصف النهار (الزوال) فان ظلال الأجسام تقع جهة الغرب، فإذا اتجهت الشمس من وسط الفلك إلى الجانب الغربي (جهة الغرب) وقعت ظلال الأجسام في الجانب الشرقي[1]، شكل (١١)، وهذه هى حركة الظل بالانتقال من الغرب الى الشرق.

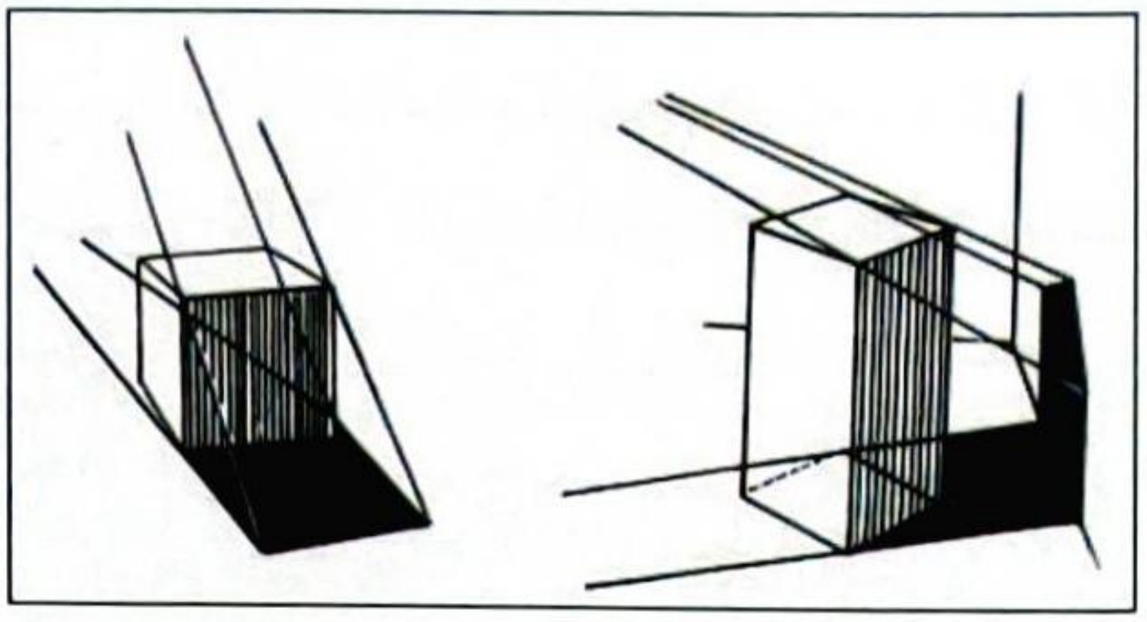

شكل (١٠): أسلوب تكون ظلال الأشكال المجسمة نتيجة تعرضها للإشعاع الشمسي المباشر

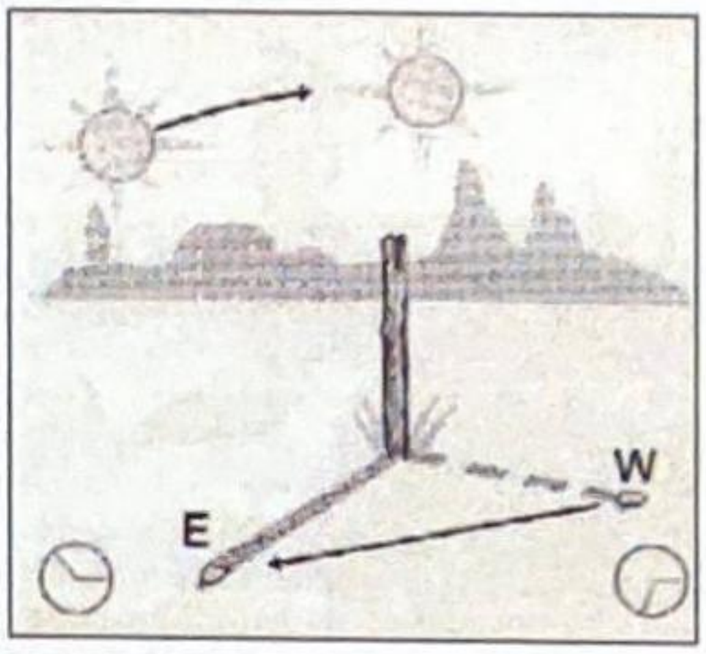

شكل (١١): حركة الظلال بانتقالها من جهة الغرب الى جهة الشرق على مدار اليوم

(١) محمد بن أحمد الاسكندرانى الدمشقي، مرجع سابق ، ص٨.

ويلاحظ أيضـا أن أطوال الظلال تكون أكبر مايمكن عند شروق الشـمس ثم تبدأ في التناقص كلما ارتفعت الشمس في السماء، حتى تصل إلى وسط الفلك (وقت الظهـيرة تماما) وفى هـذه الحالة نجد أن ظلال الأشـياء على اختلافهـا تكون أقل مايمكن، ثم بعد انتقال الشمس إلى جهة الغرب تبدأ وقت غروب الشمس، وهذه هى حركة الظل بالامتداد والانقباض.

وتوجد علاقة وطيدة بين زوايا ارتفاع الشـمس في السـماء وطول الظلال الملقاة على الأرض أو المسـتويات المختلفـة، فكلما كانت زاوية ارتفاع الشـمس قليلة (منخفضـة) فان أطـوال الظلال الملقاة تكـون كبيرة وهو مايحـدث عند طلوع الشـمس أو عند غروبها، وكلما كانت زاوية ارتفاع الشمس كبيرة (عالية) كلما قل طول الظلال الملقاة على الأرض، حيث يكون أقل طول للظلال وقت الظهيرة تمامـا (الزوال)، أي أن العلاقة بين الشـمس والظلال وطيـدة ومتلازمة فبمقدار مايـزداد أحدهما ينقص الآخر، وكما أن المهتدى يهتدي بالهادي والدليل يلازمه فكـذا الظلال كأنهـا مهتدية وملازمة للأضـواء فلهذا جعل الله سـبحانه وتعالى الشمس دليلا عليها.

٣- الدلالات العلمية الواردة فى آيات «الظل والظلال»:

تحدث القرآن الكريم عن «الظل والظلال» فى العديد من الآيات القرآنية فى سور مختلفة، وسـنحاول فى هذا المحور أن نوضح الدلالات العلمية للعديد من الآيات القرآنية التى تحدثت عن الظل والظلال.

ومنهج القراءة التدبرية الذى اتبعناه لتوضـيح تلك الـدلالات العلمية، يبدأ بعمل حصر لأهم هذه الآيات القرآنية مع تصـنيفها من الناحية الموضوعية، وذكر تفسير مختصر لكل آية، حتى يتسـنى لنا اكتشـاف تلك الدلالات التى وردت فى حديث القرآن الكريم عن الظل والظلال.

أ- التنبيه الى الفرق بين الظل والحرور:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ [فاطر: من ١٩ إلى ٢١].

إن الآية الكريمة تؤكد وتنبه على حقيقة يلمسها جميع البشر حيث يشعرون بالفرق الكبير بين الأماكن المظللة والأماكن المعرضة مباشرة للشمس وما ينتج عن ذلك من حر شديد.

ب- وصف أسلوب حركة الظلال:

ذكر حركتى الظل اجمالا: يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]، يقول الإمام القرطبى في تفسير هذه الآية الكريمة[1]: «ظلال الخلق ساجدة لله تعالى بالغدو والآصال لأنها تبين في هذين الوقتين، وتميل من ناحية إلى ناحية، وذلك تصريف الله إياها على مايشاء،... والسجود بمعنى الميل فسجود الظلال ميلها من جانب إلى جانب».

فهذه الآية الكريمة قد نبهت الى حركتى الظل اجمالا، حيث ركزت على وقتى الغدو والآصال لأنها تبين وتتضح فى هذين الوقتين، فالحركة الأولى للظل هى حركة الانتقال من جهة الغرب الى جهة الشرق، والحركة الثانية هى حركة الظل بالامتداد والانقباض، وهاتان الحركتان متلازمتان ومتزامنتان فى نفس الوقت.

ذكر الحركة الأولى للظل: يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾

(١) انظر تفسير الآية (١٥) من سورة الرعد في "الجامع لأحكام القرآن" للامام القرطبى.

[النحل: ٤٨]، حيث يخبر الله سبحانه وتعالى أن كل ماله ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال أي بكرة وعشيا، فانه ساجد بظله لله تعالى، قال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شئ لله عز وجل[١]، كما أورد الإمام الشوكانى في تفسير الآية الكريمة مايلى[٢]:« ..(تتفيؤا ظلاله) قال أبو عبيد: أي يميل من جانب إلى جانب، ويكون أول النهار على حال ويتقلص ثم يعود في اخر النهار على حالة أخرى..».

لقد تم تفصيل الحركة الأولى للظل فى هذه الآية الكريمة، وهى حركة الانتقال من جهة الى أخرى أى من الغرب الى الشرق، كما يشاهد فى الطبيعة.

ذكر الحركة الثانية للظل: يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الفرقان: ٤٥، ٤٦]، لقد ورد في تفسير «التحرير والتنوير» مايلى[٣]:«..وهذا الامتداد يكثر على حسب مقابلة الأشعة (يقصد أشعة الشمس) للحائل (الجسم) فكلما اتجهت الأشعة إلى الجسم من أخفض جهة كان الظل أوسع، وإذا اتجهت إليه مرتفعة عنه تقلص رويدا رويدا إلى أن تصير الأشعة مسامتة أعلى الجسم ساقطة عليه فيزول ظله تماما أو يكاد يزول، وهذا معنى قوله تعالى: «ولو شاء لجعله ساكنا»، أي غير متزايد لأنه لما كان الظل يشبه صورة التحرك أطلق على انتفاء الامتداد اسم السكون، بأن يلازم مقدارا واحدا لاينقص ولايزيد، أى لوشاء الله لجعل الأرض ثابتة في سمت واحد تجاه أشعة الشمس، فلا يختلف مقدار ظل الأجسام التي على الأرض وتلزم ظلالها حالة واحدة فتنعدم

---

(١) انظر تفسير الآية (٤٨) من سورة النحل في "تفسير القرآن العظيم" للإمام ابن كثير.
(٢) انظر تفسير الآية (٤٨) من سورة النحل في فتح القدير للإمام الشوكانى.
(٣) انظر تفسير الآيتين (٤٥، ٤٦) من سورة الفرقان في تفسير "التحرير والتنوير" للطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس.

فوائد عظيمة».

لقد تم تفصيل الحركة الثانية للظل فى هاتين الآيتين الكريمتين، وهى حركة الظل بالامتداد والانقباض، مع سبق القرآن الكريم عند ذكره امكانية حدوث مايمكن أن نطلق عليه «الظل الساكن»[1]، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾.

جـ - الظل ليس كله واحدا: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: من الآية ٨١]، ورد في التفسير الميسر مايلى[2]: «والله جعل لكم ما تستظلون به من الأشجار، وجعل لكم في الجبال من المغارات والكهوف أماكن تلجأون اليها عند الحاجة...».

ان ذكر كلمة «ظلالا» بصيغة الجمع وليس «ظلا» بالافراد، فيه تنبيه الى أن الظل الذى نراه بأعيننا ليس كله واحدا فى التأثير، وهذا من اعجاز القرآن الكريم، وهو ماسوف ندلل عليه عند بيان أوجه الاعجاز العلمى فى المحور الرابع من البحث.

د- ذكر نماذج محددة لأنواع الظلال: من اعجاز وسبق القرآن الكريم أن يذكر نماذج واضحة ومحددة لأنواع الظل، وهو ماسوف نوضحه فيما يلى:

١- **الظل النافع (ظل الرحمة):** أورد القرآن الكريم العديد من نماذج الظل النافع (ظل الرحمة)، نفصلها فيمايلى:

ظل الغمام (السحاب الأبيض): يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ

---

(١) للمزيد من التفاصيل انظر بحثنا: اعجاز القرآن الكريم في وصف حركة الظلال (٢٠٠٦). كتاب أبحاث (ج٣) المؤتمر العالمى الثامن للاعجاز العلمى في القرآن والسنة- الكويت، الهيئة العالمية للاعجاز العلمى في القرآن والسنة، مكة المكرمة.

(٢) انظر تفسير الآية (٨١) من سورة النحل فى: التفسير الميسر (١٤١٩ هجرية). اعداد نخبة من العلماء. وزارة الشئون الاسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية.

﴿ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة:٥٧]، أورد الإمام القرطبي في تفسيره مايلى[1]: «.. أي جعلناه عليكم كالظُّلّة والغمام جمع غمامة، كسحابة وسحاب؛ قاله الأخفش سعيد، قال الفراء: ويجوز غمائم وهي السحاب؛ لأنها تغمّ السماء أي تسترها؛ وكل مغطّى فهو مغموم؛ ومنه المغموم على عقله. وغُمّ الهلال إذا غطّاه الغَيْم. والغين مثل الغيم؛ ومنه قوله عليه السلام: «إنه ليُغان على قلبي» قال صاحب العين: غين عليه: غطّى عليه، والغَيْن: شجر ملتّف، وقال السُّدّي: الغمام السحاب الأبيض. وفعل هذا بهم ليقيهم حرّ الشمس نهاراً، وينجلي في آخره ليستضيئوا بالقمر ليلاً، وذكر المفسرون أن هذا جرى في التِّيه بين مصر والشام لما آمتنعوا من دخول مدينة الجبّارين وقتالهم..».

الظل الظليل: يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧].

لقد أورد الإمام ابن كثير في تفسيره مايلى[2]: «.. وقوله: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ أي: ظلاً عميقاً كثيراً غزيراً طيباً أنيقاً، قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمن، وحدثنا ابن المثنى، حدثنا ابن جعفر، قالا: حدثنا شعبة، قال: سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها: شجرة الخلد».

---

(١) انظر تفسير الآية (١٦٠) من سورة الأعراف في "الجامع لأحكام القرآن" للامام القرطبي.
(٢) انظر تفسير الآية (٥٧) من سورة النساء في تفسير القرآن العظيم للامام ابن كثير.

ذكر الظل الممدود مقترنا بالماء المسكوب:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾ [الواقعة:٢٧-٣١]، ورد في التفسير الميسر[1]: «وأصحاب اليمين ما أعظم مكانتهم وجزاءهم، هم في سدر لاشوك فيه وموز متراكب بعضه على بعض، وظل دائم لايزول وماء جار لاينقطع..».

ان الآيات الكريمة تعطينا نموذجا هاما للظل النافع وهو الظل الدائم، مقترنا بالماء الجار المسكوب والذى يساهم مع الظل فى تخفيف درجة الحرارة.

٢- **الظل الضار (ظل العذاب)**: أورد القرآن الكريم العديد من نماذج الظل الضار (ظل العذابة)، نفصلها فيمايلى:

ظل الدخان الأسود: يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة:٤١، ٤٤]، ورد في كتاب «جامع البيان في تفسير القران» للامام الطبري[2]: « ... فعن ابن عباس ومنصور عن مجاهد ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾، قالا: دخان، وحدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ كنا نحدَّث أنها ظلّ الدخان، وقال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ قال: ظلّ الدخان دخان جهَنم، وقوله:﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾، يقول تعالى ذكره: ليس ذلك الظلّ ببارد، كبرد ظلال سائر الأشياء، ولكنه حارّ، لأنه دخان من سعير جهنم، وليس بكريم لأنهم مؤلم من استظلّ به،... وعن قتادة،

---

(١) انظر تفسير الآيات (من ٢٧ الى ٣١) من سورة الواقعة في التفسير الميسر (مرجع سابق).

(٢) انظر تفسير الآيتين (٤٣، ٤٤) من سورة الواقعة في "تفسير جامع البيان في تفسير القران" للامام الطبري.

قوله: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ قال: لابارد المنزل، ولا كريم المنظر».

ظل دخان ذى ثلاث شعب: كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلِّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾ [المرسلات: ٣٠، ٣١]، أورد الإمام الطبرى فى تفسيره مايلى[1]: «يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بهذه النِّعم والحجج التي احتجّ بها عليهم يوم القيامة: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ﴾ في الدنيا ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ من عذاب الله لأهل الكفر به ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلِّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ يعني تعالى ذكره: إلى ظلّ دخان ذي ثلاث شعب ﴿ظَلِيلٍ﴾، وذلك أنه يرتفع من وقودها الدخان فيما ذُكر، فإذا تصاعد تفرّق شعباً ثلاثاً، فذلك قوله: ﴿ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾».

عذاب يوم الظلة (سحابة عذاب) : يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء، ١٨٩]، فمن أمثلة «ظل العذاب» فى الدنيا ماأخبر به القرآن الكريم عن عذاب قوم شعيب، فى قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾، فلقد جاء في تفسير روح المعاني للألوسى مايلى[2]: «﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فاستمروا على تكذيبه وكذبوه تكذيباً بعد تكذيب ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ وذلك على ما أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم عن ابن عباس أن الله تعالى بعث عليهم حراً شديداً فأخذ بأنفاسهم فدخلوا أجواف البيوت فدخل عليهم فخرجوا منها هرباً إلى البرية فبعث الله تعالى عليهم سحابة فاظلتهم من الشمس

---

(١) انظر تفسير الآيتين (٣٠، ٣١) من سورة المرسلات في تفسير الامام الطبرى.
(٢) انظر تفسير الآية (١٨٩) في تفسير "روح المعانى" للامام الألوسى.

وهي الظلة فوجدوا لها بردا ولذة فنادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحتها أسقطها الله عز وجل عليهم ناراً فأكلتهم جميعاً، وجاء في كثير من الروايات أن الله عز وجل سلط عليهم الحر سبعة أيام ولياليهن ثم كان ما كان من الخروج إلى البرية وما بعده وكان ذلك على نحو ما اقترحوه لاسيما على القول بأنهم عنوا بالسماء السحاب، وفي إضافة العذاب إلى يوم الظلة دون نفسها إيذان بأن لهم عذاباً آخر غير عذاب الظلة وفي ترك بيانه تعظيم لأمره».

٤- بيان جانب من الاعجاز العلمى فى آيات «الظل والظلال» :

احتوت الآيات القرآنية التى تتحدث عن الظل والظلال على العديد من الملامح الاعجازية، وهو ما سوف نقوم بتفصيله فيما يلى:

٤- ١ شمولية ودقة الوصف القرآنى للظل والظلال :

من جوانب اعجاز القرآن الكريم أن يتحدث عن الظل والظلال بوصفها أحد الظواهر الطبيعية، التى ترتبط أساسا بحركة الشمس الظاهرية، بأسلوب يتسم بالشمولية وبدقة الوصف الذى لايتنافى مع الحقائق العلمية التى تم التأكد منها فى العصر الحديث، حيث أشارت الآيات القرآنية الى مايلى:

أ) التنبيه الى الفرق بين الظل والحرور.

ب) الوصف الدقيق لأسلوب حركة الظلال اجمالا وتفصيلا.

جـ) التنبيه الى أن الظل ليس كله واحدا.

د) ذكر نماذج محددة لكل من نوعى الظل النافع (ظل الرحمة) والظل الضار (ظل العذاب).

٤-٢ اثبات أن الظل ليس كله واحدا :

أوضح القرآن أن الظلال هي إحدى نعم الله سبحانه وتعالى للبشر، حيث

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: من الآية ٨١]، إن ورود كلمة "ظلالا" بصيغة الجمع، ينبه الى أن الظل أنواع، وأن الظل ليس كله واحدا حيث تختلف درجة الحرارة حسب العنصر الذى يقوم بالقاء الظل.

وإذا كان بعض المفسرين (جزاهم الله خيرا) قد أوضحوا أن المقصود بالظلال في الآية الكريمة هى ظلال الأشجار على وجه التحديد، فلقد أوضحت إحدى التجارب في اليابان أثر استخدام النباتات في خفض درجة حرارة الحوائط الخارجية، حيث تم استخدام أحد أنواع النباتات اليابانية يسمى Japanese Ivy في تغطية حائط غربي معرض للشمس، فوجد أن درجة حرارة الحائط قبل تغطيته بالنباتات أعلى بحوالي ١٠ درجات مئوية عن درجة حرارة الهواء المحيط، أما بعد التغطية فوجد أن درجة حرارة الحائط تقل بحوالي ١ درجة مئوية عن درجة حرارة الجو المحيط[١]، كما أوضحت دراسة أخرى أجريت لمعرفة تأثير استخدام النباتات الطبيعية في تظليل المباني مدى التباين في تقليل درجات الحرارة نتيجة اختلاف أسلوب استخدام هذه النباتات في عملية التظليل، أنظر جدول (١)، فعلى سبيل المثال فان متوسط الانخفاض في درجات الحرارة نتيجة التظليل باستخدام الأشجار الكبيرة الحجم (في وجود إشعاع شمسي مباشر) يقدر بحوالي ١٤,٥٠ درجة فهرنهيت، أما في حالة استخدام شجيرات متوسطة الحجم shrub، فيصل الانخفاض إلى ٢٤,٣٠ درجة فهرنهيت[٢].

(1) Givoni, B. (1994). Passive and low energy cooling of buildings. Van Nostrand Reinhold company, New York.

(2) Baroum, A.H. (1983). Energy responses to vernacular shelter and settlement in continental Morocco, North Africa. Proceedings of the second international plea conference: "Passive and low energy Architecture". Pergamon press, New York.

جدول (١): متوسط الانخفاض في درجة حرارة سطح الحائط نتيجة استخدام عناصر تظليل مختلفة (القياسات مسجلة في الصيف بولاية ميامى بفلوريد)

عناصر التظليل المستخدمة Landscape elements	متوسط الانخفاض في درجة الحرارة (فهرنهيت) في عدم وجود إشعاع شمسي مباشر	متوسط الانخفاض في درجة الحرارة (فهرنهيت) في وجود إشعاع شمسي مباشر
• أشجار بحجم كبير.	٦,٤٠	١٤,٥٠
• شجيرات بحجم متوسط.	٧,٦٠	٢٤,٣٠
• كرمة غير كثيفة. Thin vine	٨	١٣,٨
• كرمة كثيفة. Thick vine	٧,٥	١٢
• خليط من الأشجار وحاجز نباتي. Hedge	١٠	٢,٨

كما أوضحت دراسة أخرى أن الانخفاض في درجة حرارة الحوائط المظللة باستخدام خليط من الأشجار والشجيرات يصل لحوالي من ١٣,٥٠ إلى ١٥,٥٠ درجة مئوية، أما في حالة استخدام النباتات المتسلقة فان درجة حرارة الحائط تنخفض حوالي من ١٠ إلى ١٢ درجة مئوية[1].

إن الدراسات العديدة السابقة توضح أمرا هاما وهو اختلاف النقص في درجات حرارة المباني أو الحوائط المظللة تبعا للعنصر المستخدم في التظليل، فالظل الناتج عن طريق تظليل المباني بعضها البعض يختلف عن الظل الناتج عن استخدام

(1) Givoni : the previous reference

النباتـات الطبيعيـة، كما أن الظل الناتج عن اسـتخدام الأشـجار أو الشـجيرات يختلـف عن الظل الناتج عن النباتات المتسـلقة، لذلك نجد أن الآية الكريمة ذكرت لفظ (ظلالا) بصـيغة الجمع وكأنها تلفت النظـر إلى أنه توجد اختلافات في تأثير الظلال تبعا للعنصر الذي يلقى الظل.

كمـا أن الآيـة ألمحت الى أن هـذه الظلال ناتجة عن العناصـر التي خلقها الله سـبحانه وتعالـى (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) لتوضـح لنـا أن الظلال الناتجة من العناصر الطبيعية التي خلقها الله كالنباتات والأشـجار والأكنان بالجبال يكون تأثيرها في خفض درجة الحرارة أكبر.

٤-٣ الاعجاز فى ذكر نماذج محددة للظل النافع والظل الضار:

سـنحاول فى هذا الجزء من البحث توضـيح جوانب الاعجـاز العلمى فى بعض الآيات القرآنية، التى أوردت نماذج محددة لكل من الظل النافع والظل الضار.

٤-٣-١ ذكر الظل الممدود مقرونا بالماء المسكوب:

نظـرا لأهمية الظلال بالنسـبة لتوفير جو مريح بالنسـبة للبشر خاصـة في المناطق الحارة، فلقد نبهت العديد من الآيات إلى العديد من الأمثلة والنماذج لما يمكن أن نسميه «بالظل النافع»، ومنها الظلال الناتجة عن الغمام (السحب البيضاء) كما في قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ﴾ [الأعراف: من الآية ١٦٠].

وفى بعض الآيات القرآنية ورد ذكر الظل الممدود مقرونا بالماء المسـكوب، حيـث يقـول سـبحانه وتعالـى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾ [الواقعة: ٣٠، ٣١]، إن اسـتخدام الماء لترطيب الهواء بالإضافة إلى عملية التظليل، يـؤدى إلى زيادة خفض درجة حرارة الهواء مما يؤدى إلى زيادة الشـعور بالراحة

الحرارية[١]، خاصة في المناطق الحارة الجافة مثل منطقة الجزيرة العربية، والتي كانت مهبطا للوحي القرآني.

سبق وأن أوضحنا أهمية الظلال وتأثيرها في خفض درجات الحرارة سواء داخل المباني أو في الفراغات الخارجية المكشوفة، ثم تأتى هاتان الآيتان الكريمتان لتعطى ملمحا اعجازيا قرآنيا آخر في مجال التصميم البيئي، ألا وهو الربط بين ذكر الظل الممدود الذى لايتقطع وبين ذكر الماء المسكوب الجاري وهو ما سوف نوضح جوانبه العلمية في السطور التالية.

فلقد قام مؤلف الكتاب بعمل تجارب وقياسات على أحد الأفنية المظللة بمبنى ورش كلية الفنون التطبيقية بجامعة حلوان، وذلك باستخدام رشاش مائي sprinkler يوضعه في هذا الفناء المكشوف وقياس مدى تأثير استخدام الماء في وجود الظلال، وقد اتضح أنه خلال عدة أيام من التجارب أثناء الصيف، يمكن أن يؤدى استخدام الماء الخارج من الرشاش إلى خفض درجة الحرارة داخل الفناء المكشوف بمقدار ٤ درجة مئوية[٢]، وهو ما يفسر أيضا حرص المسلمين الأوائل على وجود النوافير والماء المسكوب والجارى داخل أفنية المباني والبيوت الإسلامية وفى الحدائق الخارجية المحيطة بها بهدف خفض درجات الحرارة، إلى جانب تحقيق العامل الجمالي أيضا[٣].

إن نتائج التجربة والقياسات السابقة توضح أهمية استخدام الماء خاصة المسكوب، إلى جانب التظليل لزيادة خفض درجات الحرارة في الفراغات

---

(١) يتم تعريف مصطلح "الراحة الحرارية" على أنها حالة العقل التي يشعر فيها الإنسان بارتياح ورضا فيما يتعلق بالبيئة الحرارية الموجود فيها، فأي إنسان عادى لا يشعر بالراحة الحرارية إذا زادت أو قلت درجة الحرارة عن حدود معينة، أي أنه لا يشعر بالراحة في درجات الحرارة العالية مثلما لا يشعر بالراحة أيضا في حالات البرودة الشديدة.

(2) Yehia Wazeri (2001). The natural cooling system...an approach for improving the thermal performance of buildings in North Africa (Ph.D.). Institute of African Research and Studies, Cairo University, pp. 95-97)

(٣) للمزيد من التفاصيل انظر: يحى وزيري (٢-٤). العمارة الإسلامية والبيئة. سلسلة عالم المعرفة عدد (٣٠٤)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت- ص١٣٦، ص٢١٧-٢١٨.

الخارجيــة المكشــوفة، وهو ما يوضــح جانب الإعجاز العلمــي في الربط ما بين الظل الممدود والماء المسكوب في آيتين متتاليتين من سورة الواقعة، وهو يعتبر سبق قرآني بكل المقاييس يتفق مع أحد أهم مبادئ علم التصميم البيئي.

٤-٣-٢ ذكر الظل الظليل:

أوضحت احدى الآيات القرآنية أن «الظل الظليل» هو إحدى المتع التي أعدها الله سـبحانه وتعالى لأهل الجنة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلٗا ﴾ [النساء: ٥٧]، وهو الظل المتراكب فوق بعضه بعضا ومثاله فى الطبيعة ظل ورق الأشجار الذى يظلل بعضه بعضا.

لقد أوضــحت القياســات العلمية الحديثة أن أفضل شــيئ لتقليل درجة الحرارة داخــل الفراغات المبنية، يكون عن طريق تظليل الأســقف العلوية للمبانى، بمعنى وجود سقف يظلل السقف الأصلى للمبنى، وهو أحد نماذج الظل الظليل، حيث يعمل الســقف الخارجي (العلوي) على تظليل ســقف المبنى الأصلى من الاشعاع الشمسى المباشر، وخفض الانتقال الحرارى للفراغات (المعمارية) أسفله[١]، شكل (١٢).

---

(١) للمزيــد مــن التفاصيل انظر: آمال عبدالحليم الدبركى (١٩٩٩). التهوية الطبيعية كمدخل تصميمى ف ي العمارة الســالبة (رســالة ماجستير). قسم العمارة بكلية الهندسة، جامعة عين شمس، ص ٨٧ ، ٨٩ .

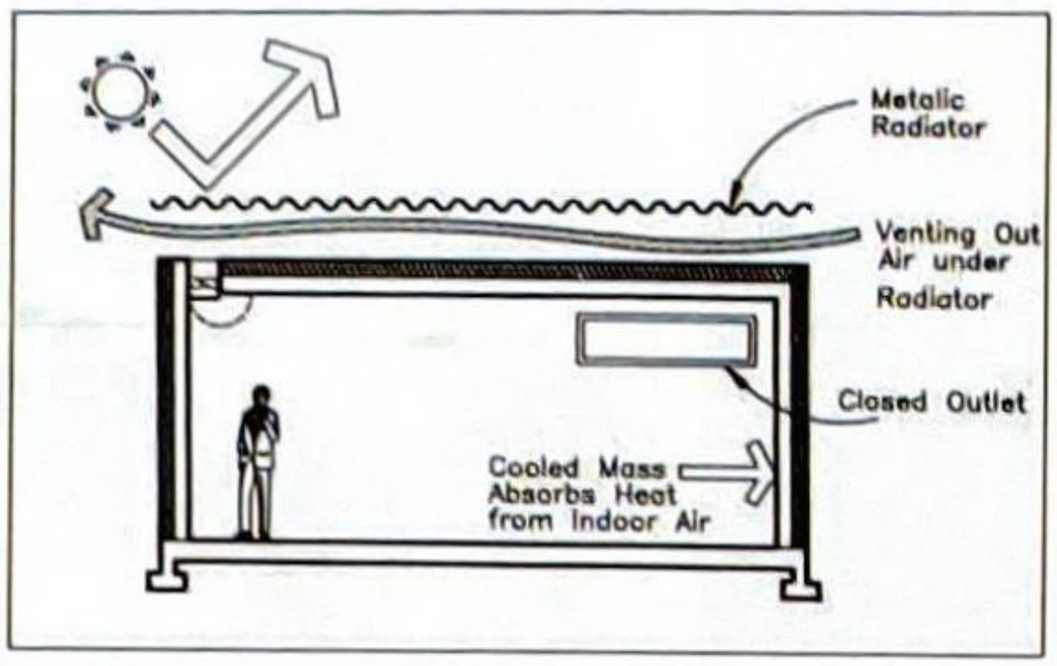

شكل (١٢): قطاع فى مبنى يوضح أسلوب تظليل أسقف المبانى باستخدام أسقف معدنية عاكسة للاشعاع الشمسى.

٤-٣-٣ ذكر ظل الدخان الأسود:

من أمثلة الظل الضـار ما ورد فى قول الله سـبحانه وتعالى: ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [الواقعة:٤٣، ٤٤]، إن ذكر الظل الضار يعتبر سبقا قرآنيا، لآن اليحموم عبارة عن دخان أسـود حار سـيئ المنظر، ومثاله مايعرف الآن باسم "الضبخان" smog (السحابة السوداء)، ويتكون من الضباب والدخان، و لم تعرف ظاهرة الضـبخان الا بعد الثورة الصـناعية وانتشـار الملوثات مـن أدخنة وأبخرة ساخنة متصاعدة، فى وجود ظروف مناخية معينة، تؤدى إلى تكون سحب سوداء من الضـبخان تحجب الشمس، ولكنها تضر بالصـحة وتزيد من ارتفاع درجات الحرارة والشعور بجو خانق، ومن جانب آخر فانها سيئة المنظر[١]، شكل (١٣).

(١) للمزيد من التفاصيل انظر الموقع الاليكترونى التالى: www. ar.wikipedia.org

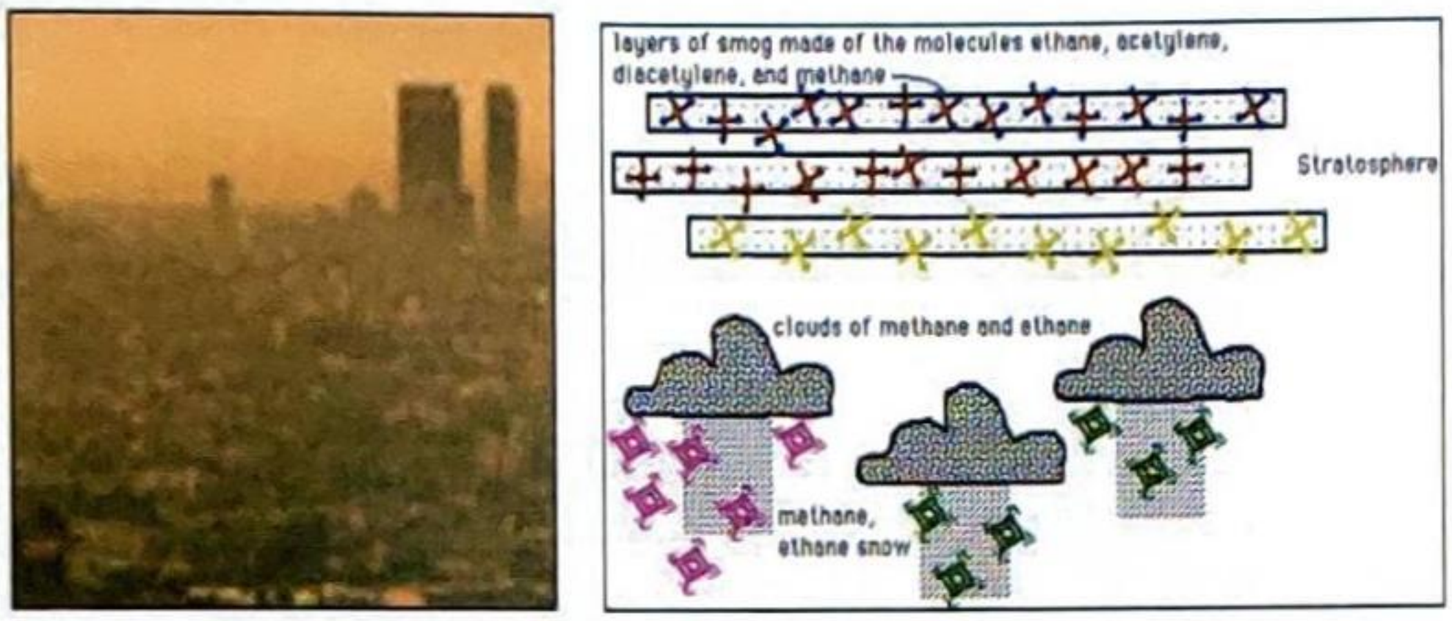

شكل (١٣): صور ورسومات مختلفة تبين كيفية تكون «الضبخان» (ظل السحابة السوداء) بشكله السيئ.

٥- الخلاصة والنتائج:

أوضحت الدراسة من خلال القراءة التدبرية أحد جوانب الاعجاز العلمي في القرآن الكريم في وصفه للظل والظلال، حيث أعطت العديد من الآيات القرآنية فى مواضع متفرقة بسور القرآن الكريم، رؤية شاملة وعامة فى التنبيه الى الظل كأحد النعم التى امتن بها الله على عباده خاصة فى المناطق الحارة، الى جانب الحديث عن أسلوب حركة الظلال فى الطبيعة اجمالا وتفصيلا، مع ذكر أنواع الظلال من خلال نماذج محددة تصف نوعى الظل الأساسيين وهما: الظل النافع (الرحمة)، والظل الضار (العذاب).

كما أثبتت الدراسة من خلال الاستعانة بالأدلة والحقائق العلمية التى تتأسس على القياسات والتجارب العلمية الحديثة، أن الظل ليس كله واحدا وهو مانبهت عليه احدى آيات سورة النحل من خلال ورود لفظ «ظلالا» بصيغة الجمع.

كما أورد البحث وجوه الاعجاز العلمى في ذكر القرآن لنماذج محددة لكل من الظل النافع والظل الضار، وهو مايعد اعجازا وسبقا قرآنيا بكل المقاييس العلمية التى تم التوصل اليها حديثا، حيث أن كل البشر وقت نزول القرآن الكريم منذ

أكـثر من أربعة عشر قرنا لم يكونوا يعرفـون إلا الظل النافع، و لم يتخيل أحد منهم أى وجود للظل الضار أو ظل العذاب الا بعد أن نبهت اليه بعض الآيات القرآنية، وأثبته العلم الحديث متمثلا فيما يعرف باسم «الضبخان» أو «السحابة السوداء».

ان حديث القرآن الكريم عن وصف أسلوب حركة الظلال وأنواع الظل المختلفة، بحيث يعطى رؤية شـاملة ومتكاملة لهذه الظاهرة الطبيعية، دونما أى تعارض مع الحقائق العلمية الحديثة، يعتبر شاهدا للقرآن الكريم بأنه كلام الله الذى أنزله بعلمه على المصطفى صلى الله عليه وسلم، ليهدى به البشر في كل زمان ومكان وليريهم طريق الحق الواضح المبين.

مراجع الكتاب

[١] القرآن الكريم.

أولا: كتب التفسير والمعاجم اللغوية:

[٢] الامام ابن كثير. تفسير القرآن العظيم.

[٣] الامام الألوسى. روح المعانى.

[٤] الإمام الشوكانى. فتح القدير. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

[٥] الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر، تونس.

[٦] الامام الطبري. جامع البيان في تفسير القران.

[٧] الفيروزابادى (١٩٧٧). القاموس المحيط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

[٨] الإمام القرطبى. الجامع لأحكام القرآن.

[٩] المعجم الوسيط ، انظر الموقع الأليكترونى التالى: www.almaany.com

[١٠] التفسير الميسر (إعداد نخبة من العلماء) (١٤١٩هجرية). وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

[١١] مجمع اللغة العربية (٢٠٠٠). المعجم الوجيز . طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، جمهورية مصر العربية.

[١٢] محمد بن أحمد الاسكندرانى الدمشقي (بدون تاريخ). كشف الأسرار النورانية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية (ثلاثة أجزاء). مكتبة ركابي، القاهرة.

[١٣] طنطاوي جوهري (١٣٥١ هجرية). الجواهر في تفسير القرآن الكريم. مطبعة الحلبي وأولاده، مصر.

ثانيا: المراجع والكتب العربية:

[١٤] ابن قيم الجوزية (١٩٧٩). مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (الطبعة الثالثة). مكتبة حميدو، الإسكندرية، ص٢٠٥ وما بعدها.

[١٥] الحافظ جلال الدين السيوطي (١٩٩٦). الإتقان في علوم القرآن. دار مصر للطباعة، القاهرة.

[١٦] الموقع الأليكترونى: الملتقى المغربى لعلوم القرآن،
انظر: www.maroc-quran.com/vb/

[١٧] أحمد كمال لبيب (١٩٧٧). الهندسة الوصفية. القاهرة.

[١٨] آمال عبدالحليم الدبركى (١٩٩٩). التهوية الطبيعية كمدخل تصميمى في العمارة السالبة (رسالة ماجستير). قسم العمارة بكلية الهندسة، جامعة عين شمس، القاهرة.

[١٩] سامي عطا حسن، أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم ..بلاغته وأغراضه، انظر الموقع الأليكترونى التالي: www.saaid.net/book

[٢٠] جمال محمد محمد الهنيدى (٢٠٠٠). تربية علماء الطبيعيات والكونيات المسلمين. دار الوفاء، المنصورة، مصر.

[٢١] سامي عبد الفتاح هلال (٢٠٠٧). من فيض الخاطر في تفسير سورة فاطر. دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر.

[٢٢] زغلـول النجـار (٢٠٠٥). من أسـرار القرآن. جريدة الأهـرام (١٦ مايو ٢٠٠٥)، القاهرة.

[٢٣] عبد العزيز كامل (١٩٨٢). القرآن والتاريخ. مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني عشر، عدد (٤)، وزارة الإعلام، الكويت، ص١١- ٦٠.

[٢٤] عبد الرحمن محمد نصار (١٩٧٤). الظل..الظلال..المنظور. القاهرة.

[٢٥] عبد الله المصلح وعبد الجواد الصاوي (٢٠٠٨).الإعجاز العلمي في القرآن والسـنة..منج التدريس الجامعي. الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن ن والسنة، جدة، المملكة العربية السعودية.

[٢٦] علـم الأجنـة فـي ضوء القرآن والسنة (١٩٨٧). من أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، باكستان، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة.

[٢٧] ممدوح عبد الغفور حسـن (١٩٩٥). المنهج السـليم في تناول الإشـارات العلمية. مجلة الهلال، عدد فبراير، القاهرة، ص ٩٥- ٩٩.

[٢٨] محمـد محمد داود (٢٠٠٨). معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

[٢٩] محمد أحمد صـادق كيلانى (١٩٩٠). الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم (٢)، الضـعف الانسانى وتضميناته التربوية، مجلة العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة المنوفية، العدد الأول، السنة السادسة.

[٣٠] فاطمة إسـماعيل محمد (١٩٨٩). القرآن والنظر العقلى، رسـالة ماجستير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس.

[٣١] موفـق حميد (بدون تاريخ). كيف نرسـم نظريا. المكتبـة الحديثة للطباعة والنشر، بيروت.

[٣١] مجموعة من الباحثين (١٤٢١ هجرية). وصـف أنواع الرياح، السحاب، المطر. هيئة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة.

[٣٣] محمـد متـولي الشـعراوى (١٩٩٥). الأدلة المادية على وجـود الله. أخبار اليوم، القاهرة.

[٣٤] محمد الغزالي (٢٠٠٥). نظرات في القرآن. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

[٣٥] طـه جابر العلوانى (٢٠٠٥). الجمـع بين القراءتين (الوحي والكون). دار الشروق، القاهرة.

[٣٦] صـبحي عبد الرءوف عصـر (١٩٩٠). المعجم الموضـوعي لآيات القرآن الكريم. دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة.

[٣٨] يحيـى وزيري (٢٠٠٤). العمارة الإسـلامية والبيئة. سلسـلة عالم المعرفة عدد (٣٠٤)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

[٣٩] يحيى وزيرى (٢٠٠٤). دلائل الاعجاز العلمى في اشارات التصميم البيئى في القرآن الكريم. سـجل بحوث المؤتمر العالمى السابع للاعجاز العلمى في القرآن والسـنة– دبى، الهيئـة العالمية للاعجاز العلمى في القرآن والسـنة، مكة المكرمة.

[٤٠] يحيـى وزيـري (٢٠٠٥). إعجاز القـرآن الكريم في العمـارة والعمران. مكتبة عالم الكتب، القاهرة.

[٤١] يحيى وزيرى (٢٠٠٦). اعجاز القرآن الكريم في وصـف حركة الظلال.

سـجل بحوث المؤتمر العالمـى الثامن للاعجاز العلمى في القرآن والسـنة- الكويت، الهيئة العالمية للاعجاز العلمى في القرآن والسنة، مكة المكرمة.

[٤٢] يحيـى وزيري (٢٠١١). الدلالات العلمية لأسـماء سـور القرآن الكريم. مجلة الكشاف المسلم، عدد (١٠٢)، القاهرة، ص ٣٦، ٣٧.

[٤٣] يوسـف مـروة (١٩٨٦). العلـوم الطبيعية فـى القرآن. منشـورات مروة العلمية، بيروت.

ثالثا: المراجع الأجنبية والمواقع الأليكترونية:

[44] Abdul-Majeed A.Zindani , E. Marshall jonson & Keith L. Moore (2000). Human Development..As Described in the Qur'an and Sunnah (second edition). Commission on Scintific Sings in the Qur'an and Sunnah, Makkah Al-Mukarramah.

[45] Anas Abdul- Hameed Al- Qez (1997). Man & Universe…Reflections of Ibn Al- Qayyem. Dar-us-Salam, U.S.A,(see also: www.hoor-al-ayn.com).

[46] Baroum, A.H. (1983). Energy responses to vernacular shelter and settlement in continental Morocco, North Africa. Proceedings of the second international plea conference: "Passive and low energy Architecture". Pergamon press, New York.

[47] Givoni, B. (1994). Passive and low energy cooling of buildings. Van Nostrand Reinhold company, New York.

[48] Yehia Wazeri (2001). The natural cooling system…an approach for improving the thermal performance of buildings in North Africa (Ph.D.). Institute of African Research and Studies, Cairo University.

[49] WWW. ar.wikipedia.org (24) WWW. Lampa. Bibalex. org

مختصر السيرة الذاتية

أ.د/ يحيى حسن وزيري.

- حاليا أستاذ العمارة الإسلامية بمعهد الطيران، ومحاضر سابق بكلية الآثار بجامعة القاهرة، وخبير العمارة البيئية.
- رئيس قسم العمارة ووكيل معهد الطيران بمصر سابقا.
- استشارى الدراسات البيئية لمشروع الاحياء العمرانى لمدينة القاهرة التاريخية (وزارة الآثار المصرية تحت اشراف اليونسكو).
- حالياً رئيس لجنة الفنون والحضارة باتحاد الجامعات الأفروآسيوية.
- حالياً المدير العلمى للمركز الدولى لأبحاث الاعجاز العلمى.
- مدير عام المجلس الاسلامى العالمى للدعوة والاغاثة سابقا (برئاسة فضيلة شيخ الأزهر) (٢٠٠٨- ٢٠١١م).
- عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر سابقا (٢٠٠٨- ٢٠١١م).
- عضو الهيئة العالمية للاعجاز العلمى فى القرآن والسنة (السابقة) بالسعودية.

الشهادات والمؤهلات واللجان العلمية:

- دكتوراه العمارة البيئية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، وماجستير في العمارة البيئية بتقدير ممتاز من جامعة القاهرة.
- دبلوم الموارد الطبيعية من جامعة القاهرة، ودبلوم الدراسات الإسلامية.
- بكالوريوس عمارة من كلية الهندسة بجامعة القاهرة ١٩٨٢م.

- مهندس استشاري في مجال التصميم الداخلي، وخبير في مجال العمارة الإسلامية والبيئية ومبانى المعوقين، والاعجاز العلمى فى القرآن والسنة.
- شارك في أعمال المراجعة والصياغة النهائية بلجنة إعداد كود مباني المعوقين بمركز أبحاث البناء عام ٢٠٠٠-٢٠٠١م.
- اختارته منظمة المدن العربية عام ١٩٩١م ضمن اللجنة التي تقوم بالترشيح للجوائز المعمارية للمنظمة.

الجوائز:

١- جائزة السلطان قابوس المعمارية عام ٢٠٠٢م (ديوان البلاط السلطاني بسلطنة عمان).
٢- الجائزة الأولى في مجال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم عام ٢٠٠٥م (مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف).
٣- جائزة نادى الأهرام للكتاب لأفضل كتاب لعام ٢٠٠٦م (مؤسسة الأهرام المصرية).
٤- جائزة الدولة في مجال العمارة والتخطيط العمراني لعام ٢٠٠٦م (أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا).
٥- الجائزة الأولى في مجال التأليف المعماري لعام ٢٠٠٧م (منظمة العواصم والمدن الإسلامية).
٦- جائزة البحث العلمي بمسابقة المسجد الأقصى الدولية لعام ٢٠٠٧م (وزارة الأوقاف الكويتية).
٧- جائزة البحث العلمى لعام ٢٠١٠م (منظمة العواصم والمدن الاسلامية) (للمرة الثانية).
٨- جائزة الدولة في مجال العمارة والتخطيط العمراني لعام ٢٠١٣م (أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا) (للمرة الثانية).
٩- حائز على جائزة أفضل مهندس معمارى عربى عام ٢٠١٧م (منظمة المدن العربية).
١٠- تم ترشيحه لجائزة الملك فيصل لعام ٢٠٢٣م فرع الدراسات الاسلامية (مجال العمارة الاسلامية)، من قبل جامعة الملك سعود واتحاد الجامعات الأفروآسيوية.

المحاضرات والأبحاث والمؤلفات العلمية:

له مايقرب من ١٧٠ مقالا وبحثا ومؤلفا علميا منشور، وله كتب وأبحاث مترجمة الى اثنى عشر لغة اجنبية، كما شارك في مؤتمرات وألقى محاضرات في حوالي ثلاثين دولة هى: مصر- والمغرب والسعودية وسلطنة عمان والأردن والامارات والكويت والجزائر وقطر والسودان وليبيا وتونس ولبنان، وأسبانيا وايطاليا وفرنسا وانجلترا وهولندا، وألبانيا، وتركيا، وأوغندا ونيجيريا وتنزانيا وزنجبار وكينيا وتشاد والنيجروروانداا، وأندونيسيا والهند.

أسماء المؤلفات والكتب العلمية والأفلام التسجيلية:

١- خواطر الشيخ الشعراوي حول عمران المجتمع الإسلامي (مكتبة التراث الإسلامي- ١٩٩٠م).
٢- التعمير في القرآن والسنة (١٩٩٢م).
٣- المدخل إلى تصميم مباني المعوقين (١٩٩٦م).
٤- موسوعة عناصر العمارة الإسلامية – أربعة كتب (مكتبة مدبولى- ١٩٩٩م).
٥- تطبيقات على عمارة البيئة.. التصميم الشمسي للفناء الداخلي (مكتبة مدبولى- ٢٠٠٢م).
٦- التصميم المعماري الصديق للبيئة (مكتبة مدبولى- ٢٠٠٣م ومكتبة الأسرة ٢٠٠٧م).
٧- المجتمع وثقافة العمران (مؤسسة دار الشعب- ٢٠٠٢م).
٨- العمارة الإسلامية والبيئة (سلسلة عالم المعرفة- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت- ٢٠٠٤م) (تم ترجمته الى اللغة الفارسية).
٩- التطور العمراني والتراث المعماري لمدينة القدس الشريف (الدار الثقافية للنشر- ٢٠٠٥م).
١٠- أم القرى.. خصوصية المكان والعمران (كتيب المجلة العربية "الرياض")- ٢٠٠٥م).
١١- إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران (مكتبة عالم الكتب- ٢٠٠٨م).
١٢- العمران والبنيان في منظور الإسلام (وزارة الأوقاف الكويتية – ٢٠٠٨م).

١٣- إثبات توسط مكة المكرمة للبابسة.. دراسة باستخدام القياسات وصور الأقمار الصناعية (المجلس الاسلامى العالمي للدعوة والإغاثة والهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة- ٢٠٠٩م)، (تم ترجمة الكتاب عام ٢٠١٥م الى اللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية).

١٤- المسجد الأقصى أم الهيكل المزعوم (المجلس الاسلامى العالمي للدعوة والإغاثة والهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة- ٢٠٠٩م).

١٥- المسلمون والآخر .. وفاق أم شقاق (المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بمصر- ٢٠١١م).

١٦- العمارة والفلك (عالم الكتب بمصر- ٢٠١٣م).

١٧- فقه آيات الآفاق والأنفس (الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة- ٢٠١٥م).

١٨- الابداع المعمارى بين التجديد والتجريب (ادارة الثقافة والاعلام بالشارقة - ٢٠١٩م).

19- Courtyard solar design (Scolar's Press, Latvia - 2019). (Translated to eight languages)

٢٠- قصة العمارة ... الانسان والعمران عبر الزمان (إدارة الثقافة والإعلام بالشارقة - ٢٠٢١م).

21- Urban parks of Islamic cities (Scolar's Press, Latvia - 2021) (Translated to eight languages).

22- Elements and ornaments of Islamic Architecture (Scolar's Press, Latvia – 2022).

٢٣- عمل فيلم تسجيلي عن العمارة بعنوان "كرنفال العمارة المصرية" (١٩٨٨م).

٢٤- تنفيذ فيلم تسجيلى بعنوان "أم القرى" (الهيئة العالمية للاعجاز العلمى فى القرآن والسنة/ ٢٠٠٩م) (تم اصدار نسخة باللغة الانجليزية أيضا).

في آيات الآفاق والأنفس

هذا الكتاب

نظرا لأن عملية البحث في مجال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، تعتبر حديثة نسبياً مقارنة بدراسات الإعجاز القرآني من الناحية البيانية أو البلاغية وغيرها، فان هذا الكتاب يعتبر محاولة لاستكشاف معالم طريق البحث في مجال آيات الآفاق والأنفس، أو مايعرف حديثا بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة من أجل تأصيل منهج الدراسة والبحث على ضوء ماورد بالقرآن الكريم.